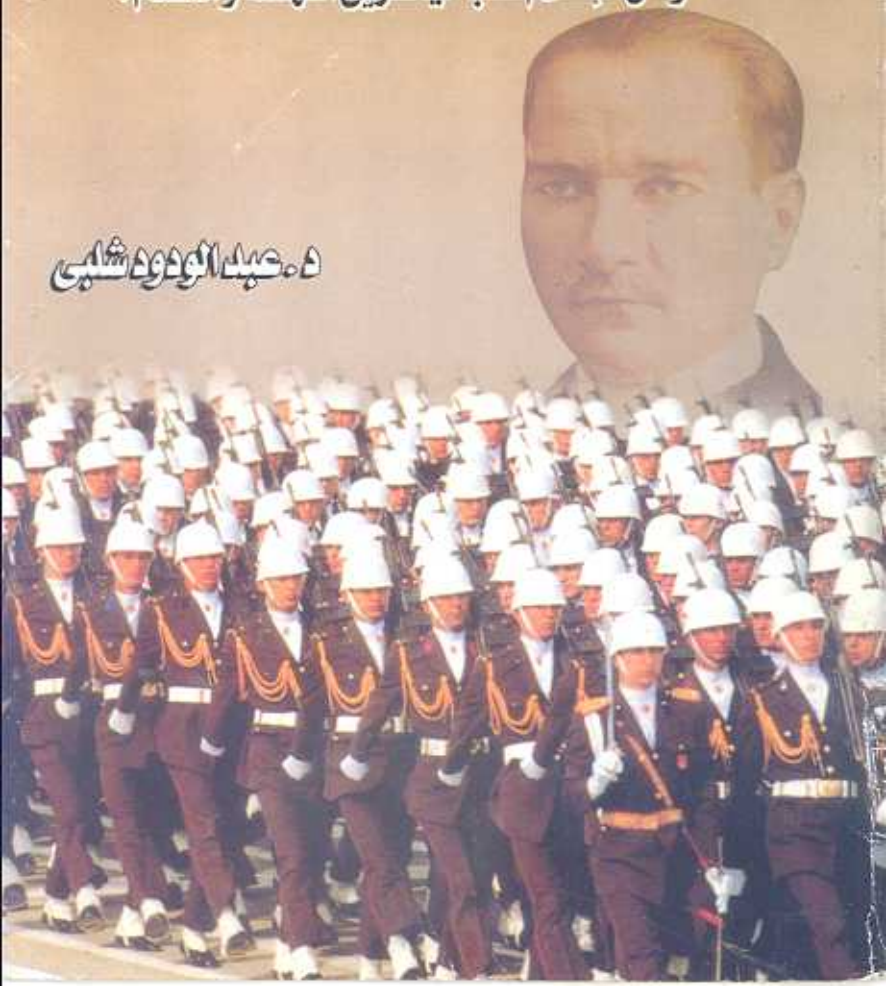


جنرالات تركيا لماذا يكرهون الإسلام؟

وهل الإسلام عقبة في طريق النهضة والتقدم؟

د. عبد الرؤوف شامى



جنرالات تركيا لماذا يكرهون الإسلام؟

جميع الحقوق محفوظة للناس

د . عبد الودود شلبي

جنرالات تركيا

لماذا يكرهون الإسلام؟

وهل الإسلام عقبة في طريق النهضة والتقدم؟



ص ب ١٧٠٧ القاهرة
الرمز البريدي ١١٥١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان
خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في
نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ ... سورة التوبة

رجل .. وموقف !

فى ساحة المحكمة .. ومنظر جثث خمسة عشر مشنوقاً تشاهد
من وراء قضبان النافذة .. وجه رئيس المحكمة - إلى الإمام
المجاهد بديع الزمان سعيد النورسى - هذا السؤال :

أنت متهم بالدعوة إلى تطبيق الشريعة . إن من يطالب بها
مصيره الشنق كما ترى فى جثث هؤلاء المشنوقين الخمسة عشر !!!
وهنا يصرخ - بديع الزمان - فى وجه القاضى قائلاً :

لو أن لى ألف روح ما ترددت أن أضحى بها كلها فداءً لحقيقة
واحدة من حقائق الإسلام !

إننى أقول لكم وأنا واقف أمام البرزخ الذى تسمونه السجن
فى انتظار القطار الذى يحملنى إلى الآخرة .. إننى مستعد لمرافقة
هؤلاء الذين علقوا على المشائق ؟

لقد كانت الحكومة تخاصم العقل أيام الاستبداد .. والآن فإن
هذه الحكومة تعادى الحياة ... !!!

ألا ... فليعش الجنون وليعش الموت

وللظالمين .. فلتعش جهنم .. !!

بديع الزمان سعيد النورسى

مقدمة تاريخية

صبيحة اليوم الذي أكتب فيه هذا البحث كنت استمع إلى
النشرة الصباحية من هيئة الإذاعة البريطانية الـ B.B.C
وقد جاء في هذه النشرة : أن دول الاتحاد الأوروبي رفضت
انضمام تركيا إلى هذا الاتحاد .. أما لماذا ؟ فلأن تركيا دولة
مسلمة ، ولا يجوز أن تنضم دولة مسلمة إلى اتحاد يضم دولاً
مسيحية ... !!!

في الوقت نفسه ... وفي النشرة نفسها قالت الإذاعة :
إن الجيش في تركيا ضغط على رئيس الوزراء لإلغاء المدارس
القرآنية .. !! ومنع الدخول بالزى الإسلامى إلى الدوائر الحكومية
...!! وفرض حظراً شاملاً على أى نشاط إسلامى فى تركيا .. !!

* * *

مامعنى هذا كله ... ؟
معناه أن الإسلام يُحاصر من الداخل ومن الخارج ؟

ومعناه أن المسلمين لم يعد لهم شأن ولا قيمة في نظر العالم !
ومعناه أن (بعض) حكامنا المسلمين يقفون مع أعداء المسلمين
في مربع واحد !!

قبل عامين سافرت إلى (اسلامبول) التي تُعرف حاليا باسم
(استانبول) لحضور الندوة العالمية عن الإمام المجاهد (بديع الزمان
سعيد النورسي) .

وفي حفل غداء دُعينا إليه من رئيس بلدية المدينة سمعنا
عجبا .. أن رئيس البلدية الذي دعانا إلى حفل الغداء كان عضوا
في حزب (الرفاه) الإسلامي الذي حله الجنرالات !..

كانت مدينة (استانبول) قبل أن يتسلمها هذا الرجل أو هذا
الشاب غارقة في مشكلات عريضة استعصى حلها على جميع
رؤساء البلدية السابقين .

مشكلات في المواصلات . ومشكلات في المرافق ومشكلات
في توفير المساكن للفقراء من أبناء الشعب . كانت (استانبول) -
أكبر وأجمل المدن - تعيش مرحلة احتضار حقيقية .

وفي ظرف عام ، بعد تولى هذا (الشاب) شئون المدينة تغير
كل شيء. توفرت وسائل المواصلات والنقل وتوفرت المساكن للفقراء .

الباحثين عن مأوى .. وأصبحت المرافق تعمل بصورة جيدة فى كل
شئ .

حتى (المياه) التى كانت شحيحة أصبحت فائضة عن الحاجة .
وهناك قصة لطيفة تتحدث عن نقص المياه فى هذه المدينة :
يقول رواة هذه القصة : إن رئيس البلدية دعا إلى إقامة صلاة
(الاستسقاء) فى جميع المساجد . فخرجت الصحف (العلمانية)
تسخر وتندد بهذا الغباء وهذا التخلف .. !!

وكانت المفاجأة التى ألقمتهم حجرا .. فقد تجمعت السحب فى
سماء المدينة فجأة .. وأمطرت السماء مطرا ملاً كل (الخرانات)
الفارغة !!! ..

لم يكتف الرئيس الشاب بكل هذه الإنجازات فقد خطا خطوات
أخرى كان لها وقع الصاعقة فقد أغلق نوادى القمار والخمر .
وذهب إلى زعيمة (الداعرات) فى المدينة - وهى أرمينية الأصل -
يعرض عليها وعلى ضحاياها (التوبة) ويعددهم بتوفير حياة كريمة
لائقة بعيدة عن الفجور والدعارة !

وعادت الصحف (العلمانية) تدق طبول الحرب ضد هذه
(المصيبة القومية) !.. كيف يجرؤ رئيس البلدية على إغلاق

(أوكار الدعارة) وكيف يقضى على (بؤر الفساد) التى توفر
للحكومة عشرة مليارات كل سنة

فماذا حدث بعد ذلك لهذا الشاب التقى الصالح !؟

فى (عموده) اليومى بصحيفة الأهرام كتب الأستاذ (أحمد
بهجت) يقول : كنا نتهياً لمغادرة اسطنبول ، وكانت طائرتنا
تتحرك الساعة التاسعة مساءً ، ولما كان المفترض أن يصل المسافرون
إلى المطار قبل ساعتين من حركة الطائرة ، فهذا كان يعنى بالنسبة
لنا عدة ساعات نقضيها فى السياحة ومشاهدة معالم المدينة .

ونحن نفخر فى مصر بأن القاهرة هى مدينة الألف متذنة ..
وأن فيها ألف مسجد إلى جوار الكنائس ، أما اسطنبول فهى
مدينة تضم ثلاثة آلاف مسجد إلى جوار الكنائس الشهيرة ..
واسطنبول مدينة تشبه كتاباً مفتوحاً من كتب التاريخ .

إن كل ركن فيها وكل بناء يحمل أثراً من آثار التاريخ .
مضينا نضرب فى طرقات المدينة ثم أحسسنا حين أقبلت
الظهيرة أن هناك شيئاً غير عادى قد وقع .. لقد بدأ المرور يتحول
إلى البطء وضاعت سبولة الحركة فى شوارع المدينة ..
وبدأنا نتتبع الخبر .. كان الخبر من أعجب ما سمعنا فى

حياتنا الصحفية على كثرة ما شاهدنا وسمعنا من عجائب .
قيل لنا إن حركة المرور أبطأت وأصابها ما يشبه الشلل بسبب
مظاهرة هائلة تتكون من مائة ألف مواطن تركى اجتمعوا فى
الساحات والميادين والشوارع ابتداءً من مسجد الفاتح إلى مسجد
بايازيد وسط اسطنبول .

سألنا : لماذا احتشدت المظاهرة ؟

قالوا : احتشدت المظاهرة احتجاجاً على قرار المحكمة
الدستورية العليا بتأكيد حبس عمدة اسطنبول ورئيس بلدياتها
(رجب طيب أردوغان) .

سألنا :

ما هى الجريمة التى كانت سبباً فى الحكم عليه بالحبس ؟
قالوا : هى جريمة خطيرة خطيرة .. لقد قرأ منذ ثمانية أشهر .
وهو يخطب فى الجماهير بيتاً من الشعر كتبه الشاعر التركى
محمد عاكف ، وهو شاعر كانت له اتجاهات إسلامية ، وهو يقول
فى قصيدته :
(المساجد ثكنات المؤمنين ، وقباها خوذاتهم ، أما مآذنها فهى
رماحهم) .

بسبب بيت واحد من الشعر حُكِمَ بالحبس على رجل له تقديره واحترامه فى الشارع السياسى التركى ، وقد اتهم بأنه يعمل على تقويض الأسس العلمانية للدولة التركية وإقامة نظام إسلامى .. هذه هى الجريمة التى دخل بها الشعر إلى السجن .!

فلماذا كل هذه الكراهية للإسلام ، ولماذا يقف جنرالات تركيا من الإسلام موقف البغض والعداء .. ؟

لنعد قليلا إلى الوراء .. إلى السبب الحقيقى لهذه الكراهية وهذا العداء .. وبعبارة أكثر - دقة ووضوحا - إلى هذا المستنقع الذى انتشر منه هذا الوبا - وهذا البلاء ... !!!

(.....) لقد بلغ الإسلام فى بداية القرن التاسع عشر نهاية جزره فى القوتين : المادية والمعنوية ، لأنه تلقى عن القرون السابقة أثقالا من المتاعب لم تمتحن أمة من قبله بمثلها ، ولا نعرف من المؤرخين من يستغرب مصاب الإسلام بعد ما تلقاه من الضربات منذ القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر ...

وإنما الغريب عندهم هو تلك القوة المنيعة التى صابر بها الكوارث والشدائد زها - تسعة قرون ولم يزل بعدها وحدة إنسانية هائلة تتخذ مكانها بين هيئات الأمم ..

ضربات لم تصمد لمثلها دولة من الدول الجامعة ، أو الدول التي
سُميت بالإمبراطوريات في العصرين القديم والحديث .
(وقد رأينا ^(١) كشيء من المؤرخين يوازنون بين أخطار هذه
الضربات ويجعلون الحروب الصليبية في مقدمتها من هذه الحركات
والإغارات ، أو يجعلونها فاتحة الضربات يتلوها ما تعاقبها من
الأخطار والأخطاء) .

وهذه الحروب من غير شك كانت من أعظم الأخطار التي
امتحننت بها الأمة الإسلامية . لكنها من غير شك أوقفت عوامل
الشقاق بين الأمم الإسلامية ردحا من الزمن ... وكان صلاح الدين
الأيوبي يظل هذه الحروب غير مدافع في نظر الدول الأوربية ، ونظر
الشرقيين على السواء (... فهو الرجل الذي هيأته العناية الإلهية
لهذه المهمة العظيمة وجمع فيه من خصال الحزم والعزم والإخلاص
والحرص على الجهاد ، والتفاني في سبيله ، وعلو الهمة في نصر
الإسلام ، وحسن القيادة وقوة التنظيم ، والصلاح والديانة ،
ومكارم الأخلاق ما لا يجتمع إلا في أفذاذ الرجال في العالم ، وقد
توحد العالم الإسلامي من بين نهر الفرات ونهر النيل للمرة الأولى

(١) عباس محمود العقاد «الإسلام في القرن العشرين» ص ٤٠ .

- بعد مدة طويلة - تحت قيادته ، واجتمع تحت لوائه أجناس كثيرة من المسلمين لم تجتمع من قبل) (١) .

إلا أن هذا الرجل الحليم الرصين ثارت ثائثرته وجن جنونه حين سمع بعزم أرنولد (Arnold) صاحب (الكرك) على فتح الحجاز ، وإعداد العدة في البر والبحر لاقتحام المدينة المنورة وهدم المسجد النبوي .. ! فأقسم صلاح الدين ليقتلن هذا الرجل بيده إن مكنته الله منه .

فكانت موقعة (حطين) (٢) التي تعد من المواقع الحاسمة في تاريخ الإسلام . وظفر صلاح الدين بشرذمة من الملوك والأمراء ... وعفا عنهم جميعا إلا أرنولد هذا .. فإنه لم يقبل فيه شفاعاة من أحد ... وتناول سيفه وضرب به عنقه بيده وهو يقول : برئت من شفاعاة محمد إن قبلت في هذا الأحمق شفاعاة شفيع (٣) ... !

وقد مات صلاح الدين بعد ما قضى مهمته إلى حد بعيد ... وتراجع سيل الصليبيين بعد أن تعلموا دروساً جديدة مفيدة ..

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - أبو الحسن الندوي ص ١٥٣ ..

(٢) قرية في فلسطين وعندها كانت المعركة الشهيرة بين صلاح الدين الأيوبي

والصليبيين سنة ١١٨٧م ..

(٣) الإسلام في القرن العشرين ص ٤١ ..

درسوا جوانب الضعف والقوة في الجبهتين .. الجبهة الإسلامية ...
والجبهة الصليبية ، وعاد المسلمون سيرتهم الأولى من انقسام
وتنافس وغفلة ، ولم تنزل قوتهم تضعف وتهن دون أن يشعر بذلك
أحد . حتى كانت الإغارة التتيرية التي تركت خلفها الدمار والحراب
وكشفت للمسلمين وللعالم الخارجي - وبخاصة الصليبي - حقيقة
أنفسهم وضعفهم وبعد أن اجتاحت بغداد زال ذلك الشبح وسقط
(المجدار) (١٣) فعائت الطيور والوحوش في الحقل وتجاسر الناس
على المسلمين وبلادهم .

في ذلك الحين . ظهر الترك العثمانيون على مسرح التاريخ ،
وفتح محمد الثاني مدينة (القسطنطينية) في سنة ٨٥٧
هـ-١٤٥٣ م ..

فتجدد بهذا الفتح رجاء الإسلام . وانبعث الأمل في المسلمين .
وكان فتح مدينة (القسطنطينية) دليلاً على قوة الأتراك الحربية .
وحسن قيادتهم العسكرية .
كان عمره (محمد الفاتح) في ذلك الوقت أربعاً وعشرين
سنة !! ..

(١) ما ينصب في الزرع لظفر الطير والوحش ، ويعرف في مصر بـ «خيال المانة» ..

ويقول البارون كارادفو (Baron Carrdevauy) :

إن هذا الفتح لم يقبض لمحمد الفاتح اتفاقاً ، ولا تيسر لمجرد ضعف دولة (بيزنطة) بل كان هذا السلطان يدير التدابير اللازمة له من قبل ، ويستخدم كل ما كان في عصره من قوة العلم ، فقد كانت المدافع حينئذ حديثة العهد ، تعمل على تركيب أضخم المدافع التي يمكن تركيبها يومئذ ، وانتدب مهندساً مجرباً ركب مدفعاً كان وزن الكرة - القذيفة - التي يرمى بها ثلثمائة كيلو جرام ، وكان مدى مرماه أكثر من ميل ، وقيل إنه كان يلزم هذا المدفع سبعمائة رجل ليتمكنوا من سحبه ، وكان يلزم له ساعتان لحشوه ، ولما ذهب محمد الفاتح لفتح القسطنطينية كان تحت قيادته ثلثمائة ألف مقاتل ، ومائة وعشرون سفينة حربية (١١) ...

ولكن كان من سوء حظ الأتراك والمسلمين معا أنهم أخذوا في الانحطاط والتدنى ، ودب فيهم داء الأمم من قبلهم من البغضاء والتحاسد واستبداد الملوك وجورهم ، وسوء تربيتهم ، وفساد أخلاقهم ، وخيانة الولاة والأمراء ، وغشهم الأمة وإخلاق الشعب إلى الراحة والدعة ، وتفشى الجهل والخرافة وانقطع ما بين

(١١) حاضر العالم الإسلامي ج ١ ..

المسلمين وعلومهم الأولى ، فندر فيهم من كان يتعلم النافع منها كالفقه واللغة والأدب والرياضة ، وانقطع ما بينهم وبين العلوم العصرية ، فتنظر الكثيرون منهم إلى علوم الجغرافيا ، والطبيعة ، والكيمياء ، كأنها الكفر البواح ، أو السحر المزيف ، فاصطيغ فهمهم للدين بصيغة الجهل والتخريف ، وطلبوا الخلاص من غير بابه ، وتوسلوا للعمل بغير أسبابه ، واتهموا الناصحين ، وأرسلوا قاداتهم للدجالين والمحتالين ، وفي هذه الفترة كان الإسلام كما يفهم الجهلاء مزيجاً من الخرافة والشعوذة ، ومن الطلامس والأوهام ، ومن الوثنية وعبادة الموتى وكان طلاب الفتوى - من مشارق الأرض ومغاربها - يسألون عن الكبريت هل يجوز مسه ؟!

وهل يجوز قذح النار منه ؟ أو طبخ الطعام على ناره ؟ أو يأثم من يمس صنفرته ، لأنه مادة نجسة تنقض الطهارة . (١) ... !
ومع كل هذه العلل .. فقد كانت الامبراطورية العثمانية قلعة للإسلام ولم تكد هذه القلعة تنهار ، ويصيبها الوهن والضعف ، حتى فتتح الباب على مصراعيه أمام الغرب ، وانطلق البخار المسموم من مراجل الحقد ليهدم كل من يقف في طريقه إلى الشرق!

(١) الإسلام في القرن العشرين ص ٤٣ ..

وقد كان القرن التاسع عشر ولا ريب أسوأ من كل القرون
التي تقدمته لأنه القرن الذي اتبعثت فيه (المسألة الشرقية) (١)
من بقايا الحروب الصليبية .. وكانت المسألة الشرقية تمخضت عن
دور آخر وراء دور الحروب الصليبية وهو دور التفاهم بين دول
الاستعمار على تركة (الرجل المريض) (٢) ..

وتبادل الإغضاء عن كل طرف متفق عليه يقع في قبضة
الطامعين فيه من المتنازعين على الشركة وصاحبها على قيد الحياة
..... (٣)

إن القلب ليمتلئ رعباً وهو يطالع تفاصيل هذه المؤامرة التي
حيكت لتقسيم العالم الإسلامي وابتزازه ، والعمل على تدميره
وتحطيمه ، وقد ذكر لنا المرحوم شكيب أرسلان مائة مشروع
وضعت لتقسيم دولة الخلافة ، وفي هذا الحوار بين القبصر نيقولا
إمبراطور روسيا ، والسير هاملتون سيموز سفير بريطانيا تتضح

(١) كانت المسألة الشرقية تعنى فى أول الأمر تخليص المسالك المسيحية من أيدى
الدولة العثمانية وفى مرحلة ثانية أصبحت تعنى تقسيم الدولة العثمانية والدول
الإسلامية التابعة لها بين الدول الأوروبية ..

(٢) اصطلاح أطلقته الدول الأوروبية على الإمبراطورية العثمانية فى مرحلتها الأخيرة.

(٣) عباس العقاد - محمد عبده ص ١٠ ..

أبعاد هذه المؤامرة الخطيرة ، وكيفية التدبير أو التفكير تجاه العالم الإسلامي وتدميره (١) .

(... ففى ليلة سمر عند الغراندوقة (هيلانة) الروسية - ٩

يناير ١٨٥٣م قال الإمبراطور نيقولا للسير هاملتون :

"تأمل . نحن بين أيدينا رجل مريض ... ومريض جدا ، ويكون

بالفعل وبالأعظيما علينا إن خرج أمره من أيدينا !" .

وفى مرة ثانية دُعى السفير هاملتون لمقابلة القيصر فقال له

أيضا :

" أنت لا تجهل المقاصد والمرامى التى لا تزال فى روسيا منذ

عهد كاترينا ... وتركيا هى كما قلت لك - من قبل - رجل

مريض ، ويجوز أن تموت بالرغم منا ! فتبقى عبثا علينا ، وليس

فى استطاعتنا نشر الموتى !"

(أفلا يكون من الأفضل بحقتنا -تفاديا لحروب أوروبية - أن

نتفق من قبل على أمرها حتى لا نؤخذ على غرة ! وإنتى أقول لك

بصراحة .. إننا إن استطعنا أنا وانجلترا أن نشفق فى هذا الموضوع

لم يهمننا الآخرون ... وأنا لا أكتمك أنه إن كان فى نية انجلترا

(١) حاضر العالم الإسلامى ج ٣ ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ..

الاستيلاء على الآستانة فلن أتحمّل ذلك . لا أقول إن لكم هذه
النية ، ولكن أقول إن صحت هذه النية فلن أكون راضيا ، وأنا
نفسى أتعهد أيضا بأن لا احتلها مالكا ... أما بصورة مؤقتة
على سبيل الاستبداع فقد أرضى ... !!!

وإما إذا بقيت الأمور بدون قرار بشأنها ، فقد يجوز أنى
احتلها قولا واحدا .. !!!) .

فأجاب السير هاملتون :

(ليسمح لى جلالتك بالقول إنه ليس عندنا أدنى سبب للظن
بأن المريض هو على وشك الهلاك !) .

فرد القيصر فى حدة قائلاً :

(إذا كان عند حكومتك أمل بأن تركيا لاتزال فيها عناصر
الحياة فتكون المعلومات التى لديها غير صحيحة ... وأنا أؤكد
لك أن المريض هو فى حالة الاحتضار وأنه لا يجوز أن يموت ونحن
عنه غافلون .. بل يجب أن نتفق .. ولست أكلفكم عقد معاهدة
.. أو تحرير صك .. وإنما أطلب كلمة اتفاق عامة ، وهذا كاف
فيما بين الرجال الأكياس !!!) .

لم يحدث فى التاريخ ، وفى أشد عصوره همجية أن تأمر

رئيس دولة على دولة مجاورة ، والعمل على تدميرها بهذه الطريقة التي كان يفكر بها قيصر روسيا ، ولم يحدث في أظلم عصور التاريخ ، وأشدّها همجية ووحشية أن حكم رئيس دولة على دولة أخرى بالموت ، وحدد ساعة موتها بهذه الطريقة ، ولم يحدث ولن يحدث في المستقبل كما نظن ، ولكن الأحقاد التي تشعبت جذورها في العقل الأوروبي وغارت في أعماق مشاعره وإحساسه هي التي كانت تخطط لهذا العمل الهمجي ، وتنظم هذا الهجوم الوحشي ... وتتفق على توزيع التركة قبل التنفيذ العملي

وسواء أكان موقف السفير الإنجليزي تعبيرا عن موقف حكومته أم لم يكن فإن الواقع ينفي كل اعتبار لحسن النية ، واعتقادنا هو: أن بريطانيا لم تشأ أن تشرك روسيا معها في اقتسام الغنيمة . لقد بدأ الهجوم على العالم الإسلامي في كل أقطاره ، وأحاطت به الجيوش والأساطيل في عقر داره ، دمرت بريطانيا ممالك الإسلام في الهند ، وسيطرت على الخليج ، واحتلت في طريقها عدن ، وأبحرت أساطيلها شرقا وغربا ، فلم تدع جزيرة في بحر أو مدينة على ساحل .

وانطلقت فرنسا من وراء بريطانيا ، فاحتلت الجزائر والمغرب

وتونس .

وزهدت إيطاليا إلى الصومال وإريتريا ، وسيطرت هولندا على
جزر الهند الشرقية بأكملها ، وأحيط بممالك الإسلام وسلطنته في
شرق وغرب إفريقيا وأخيرا وقعت مصر والسودان في قبضة
بريطانيا ...

لقد سقط (المجدار) ومشت سكة الأجنبي في حقل الإسلام ،
وتداعت الأمم على المسلمين كما تنبأ النبي ﷺ قبل ذلك بأكثر من
ألف وأربعمائة عام (١) ...

كانت النازلة شديدة ، والكارثة كبيرة ، والمعركة ضد الإسلام
والمسلمين ضاربة عنيفة ، كانت هذه الأيام والسنوات كما يقول
المؤرخ الجبرتي :

(... أول سنى الملاحم العظيمة ، والحوادث الجسيمة ، والوقائع
النازلة ، والنوازل الهائلة ، توالى المحن ، واختلال الزمن ،
وانعكاس المطبوع وانقلاب الموضوع وتشابح الأحوال ، واختلاف

(١) في حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : "بوشك أن تداعى عليكم الأمم كما
تداعى الأكلة على قصعتها" .. الحديث رواه أبو داود والبيهقي في دلائل النبوة .
أنظر : مشكاة المصابيح ج ٢ طبعة المكتب الإسلامي ١٣٨١ هـ ..

الأحوال ، وعموم الخراب ، وتواتر الأسباب ، وما كان ربك ليُهلك
القرى بظلم وأهلها مصلحون) (١) .

ولقد لعبت (اليهودية العالمية) دورا رئيسيا فى إسقاط دولة
الخلافة ، وهو دور يرجع إلى أسباب كثيرة ،
من أهمها وقوف هذه الدولة فى وجه مظالم اليهود الذين
كانوا يخططون لاستلاب فلسطين منذ قرون عديدة .

فقد تطلع اليهود على مر العصور التاريخية إلى فلسطين
كإقليم يجمع شتاتهم (٢) وينشئون فيه دولة . وكانت أصواتهم
تعلو حيناً وتخفت حيناً آخر تبعا للملايسات التى أحاطت بهم ،
وتبعا لظروف الدولة التى كانت تمارس سيادة فعلية على فلسطين ،
ولكن لوحظ أن أصواتهم ازدادت ارتفاعا بل ضجيجا وعلى فترات
منتقاربة منذ الثمانينات فى القرن التاسع عشر ، وتنادوا إلى
تهجير اليهود المشتتين فى أنحاء العالم إلى فلسطين وإنقاذهم من
الاضطهاد الذى يتعرضون له فى المجتمعات التى يعيشون فيها ،

(١) عجائب الآثار للجبرتى - ط . دار الشعب بالقاهرة ..

(٢) الدولة العثمانية دولة إسلامية مقترى عليها - د . عبد العزيز الشاوى ص ٩٧٣

وما بعدا ..

وطالبوا بإنشاء دولة يهودية في فلسطين ، وأطلقوا على حركتهم اسم الحركة الصهيونية نسبة إلى صهيون وهو جبل يقع على المشارف الجنوبية لمدينة القدس القديمة تأكيدا لإصرارهم على إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين ، وشقت هذه الحركة طريقها بما توفر لها من قيادات سياسية على أعلى المستويات العلمية ، ووسائل الدعاية والإعلام ، والتنظيم الدقيق ، والتمويل الرتيب وما إلى ذلك من عناصر القوة ، وأنشأت الحركة منظمات أو أجهزة صهيونية تتولى اتخاذ الخطوات التي تؤدي في النهاية إلى تحقيق هدفها المنشود ، ونجحت في استقطاب الدول الكبرى إليها عطفاً وتأييداً وبذلاً ، ولئن كانت فلسطين تعتبر في نظر اليهود أرض الميعاد تشدهم دينياً إليها ، فقد أصبحت أيضاً أرض الخلاص تجذبهم سياسياً إليها يقيمون فيها دولة يتفياون في ظلها الأمن بعيداً عن الاضطهادات الدينية وتعيد إليهم مجداً سياسياً تألق في فترة قصيرة موهلة في القدم ثم ذوى أعصراً ودهوراً وعاشوا على ذكرياته يبكون ويتأبكون ...

وكان على الدولة صاحبة السيادة وقتذاك على فلسطين ، وهي الدولة العثمانية أن تخوض دفاعاً عن فلسطين صراعاً سياسياً

مريرا ضد القوى الصهيونية والدول المناصرة لها . ونجح
الصهيونيون في توقيت حركتهم نجاحا باهرا ، فاختاروا فترة
عصيبة من فترات الاضمحلال التي كانت تمر بها الدولة العثمانية
واتضح للمراقبين السياسيين في ذلك الوقت مدى التدهور الذي
أصابها في مواجهة الزحف الاستعماري الأوروبي على ممتلكاتها
بحيث أصبح سقوطها وشيكا ، فلم يعد للدولة الوزن السياسي أو
الثقل العسكري الذي كانت تتمتع به على عهد سلاطين الفترة
الأولى ، ولذلك فلم يكن في مقدورها أن تخوض بنجاح صراعا
سياسيا رهيبا ضد الصهيونية والدول الأوروبية فعملت في حدود
إمكاناتها على الحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

كان السلطان عبدالحميد قد عرف خطة الصهيونية العالمية في
الاستيلاء على بيت المقدس وإقامة هيكل سليمان نتيجة المخططات
التي كان يجري تنفيذها في الامبراطورية العثمانية تحت ستار
التنظيمات الماسونية التي نشرتها قوى اليهودية في مختلف أنحاء
بلاد الخلافة ، وكانت ركيزتهم الأساسية هي جماعة الذوئمة في
سالونيك ، هؤلاء اليهود الذين كانوا قد هاجروا من الأندلس بعد
سقوطها في يد الفرنجة وانتهاء الحكم الإسلامي فيها فقد قصدوا

إلى تركيا ليستظلوا بظل المسلمين بها ، وفي سالونيك كانت
خطتهم لإقامة المحافل الماسونية واستقطاب الاتحاديين لخدمة
أهدافهم ، حتى استطاعوا إسقاط السلطان عبدالحميد حين عجزوا
عن إغرائه أو احتوائه وكان للاتحاديين (١) دورهم الخطير في هذه
المؤامرة .

كان هرتزل قد حاول إغراء السلطان ليسمح لهم بالهجرة إلى
فلسطين ورفض العروض التي قدمت له فوضعهم أمام قرار
التخلص منه : وقد وضع هذا في مذكرات هرتزل ، كما أشار إليه
السلطان في الوثيقة المعروفة التي نُشرت أخيرا :

(إنني كأمانة في ذمة التاريخ لم أتخل عن الخلافة الإسلامية
لسبب ما سوى إنني بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد
والترقي المعروفة باسم (جون ترك) وتهديدهم اضطرت وأجبرت
على ترك الخلافة . إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا بأن أصادق على
تأسيس وطن قومي لليهود في الأراضي المقدسة ورغم إصرارهم
فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف وأخيرا وعدوا بتقديم مائة

(١) الاتحاديون اسم يطلق على بعض الأتراك الذين يرون الرابطة القومية أهم من
الرابطة الإسلامية ..

وخمسين مليون ليرة ذهبية إنجليزية فرفضت هذا التكليف بصورة
قطعية أيضا ، وأجبتهم بالجواب القطعي :

إنه لو دفعتم ملء الدنيا ذهبا فلن أقبل تكليفكم ، لقد خدمت
الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فكيف
أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء
العثمانيين ، لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي .

وبعد جوابي اتفقوا على خلعي فقبلت التكليف وحمدت المولى
أننى لم ألتخ وجه الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار
الأبدي) !!!...

وهكذا دفع السلطان عبد الحميد ثمن موقفه الحاسم من
الصهيونية العالمية وكان للنفوذ الأجنبي مشاركة ضخمة فى هذا
الأمر ، ذلك لأن اللواء الذى رفعه تحت اسم (الجامعة الإسلامية) :
خارج نطاق الدولة العثمانية : يامسلمى العالم اتحدوا قد هز
الدوائر الاستعمارية هزا شديدا ومن ثم كانت المؤامرة ذات شقين :
(١) إسقاط السلطان عبد الحميد : وهذه كانت مهمة
الاتحاديين .

(٢) إسقاط الخلافة العثمانية : وهذه مهمة الكمالين (١) .
ولم يكن الكماليون والاتحاديون إلا فرع دوحه واحدة : تقاسمت
العمل على مرحلتين للإجهاز على الدولة العثمانية والخلافة وفتح
الطريق أمام الصهيونية العالمية لتصل إلى فلسطين ، ولتمزق
العرب والترك ولتمكن للاستعمار البريطاني والفرنسى من اقتسام
تركة كان يطلق عليها (اسم الرجل المريض) ...
وقد كان السلطان عبد الحميد يعرف دخائل هذا المخطط كله :
بفروعه وخلفياته ، فيما يتصل (بالدوغمه) والمحافل الماسونية
ومخططات الاتحاديين (تركيا الفتاة) وفي مقدمتهم مدحت وأحمد
رضا . ويعرف الأهداف الخطيرة التي يدور حولها تأمر الصهيونية
مع بريطانيا وغيرها من دول أوروبا ، ولكنه بعد كل هذه
الوساطات التي بذلها هرتزل أرسل إليه كلمته الواضحة الحاسمة
الصريحة : انصحوا الدكتور هرتزل ألا يتخذ خطوات جديدة في
هذا الموضوع .

إننى لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض قسبى
ليست ملك يمينى بل هى ملك شعبى .

(١) كمال أتاتورك وأتباعه ..

لقد قاتل شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه فلحتفظ
اليهود بملايينهم . إذا مزقت إمبراطوريتي فلعلهم يستطيعون
آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن ولكن يجب أن يبدأ ذلك
التمزيق أولاً في جثتنا . وإنى لا أستطيع الموافقة على تشريح
أجسادنا ونحن على قيد الحياة !!!...

في المركز الإسلامي في لندن عندما سافرت إلى بريطانيا في
أول مرحلة من مراحل البحث للحصول على درجة الدكتوراه .
التقيت بأحد أولاد السلطان عبدالحميد الذي كان يقيم لاجئاً في
بريطانيا ...

سألته عن أبعاد الحركة التي أطاحت بوالده من سدة الخلافة
والحكم ... فأجاب - بينما كان يسترجع ذكريات هذه الأيام
العصيبة - قائلاً : هناك سببان رئيسيان لهذه الأحداث الأليمة :
أولهما : موقف والدي من الحركة الصهيونية ورفضه رفضاً
باتاً بالسماح للهجرة اليهودية إلى فلسطين ...

وأما ثانيهما :- فلأن والدي حاول في سنوات حكمه الأخيرة
إحياء الوحدة الإسلامية للوقوف صفاً واحداً في وجه المؤامرات
التي كان يحيكها الغرب ضد الخلافة التي كانت تمثل - في ذلك

الوقت - راية يتجمع حولها المسلمون في الشرق والغرب .
وأضاف قائلاً : إن والدي لم يكن بهذه الصورة البشعة التي
تصوره بها دوائر الغرب ومن ورائها الصهيونية العالمية ، لقد كان
مسلماً قوى الإيمان والعقيدة .

كما كان في حياته (الخاصة) (صوفياً) يحرص على قراءة
(أوراده في كل ليلة) ... ولن نجد أصدق من هذه (الوثيقة) التي
بعث بها السلطان من منقاه إلى شيخ الطريقة الشاذلية تقول هذه
الوثيقة : (الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على
سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم
الدين .

أرفع عريضتي هذه إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية ، إلى
مفيض الروح والحياة ، إلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي
أبي الشامات ، وأقبل يديه المباركتين راجياً دعواته الصالحة !!!
بعد تقديم احترامي ، أعرض أنى تلقيت كتابكم المؤرخ ٢٢
مارس في السنة الحالية وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة
وسلامة دائمتين .

سيدي ، إنى بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد

الشاذلية ليلا وتهارا وأعرض أننى مازلت محتاجا لدعواتكم
القلبية بصورة دائمة.

بعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم ، وإلى أمثالكم أصحاب
السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة فى ذمة
التاريخ .

إننى لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما ، سوى أننى -
بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم (جون
تورك) وتهديدهم اضطرت وأجبرت على ترك الخلافة .

إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا على أن أصادق على تأسيس
وطن قومى لليهود فى الأرض المقدسة (فلسطين) ورغم إصرارهم
فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف .

وأخيرا وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة
إنكليزية ذهبيا . فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضا ،
وأجبتهم بهذا الجواب القطعى الآتى :-

(إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبيا - فضلا عن (١٥٠) مائة
وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهبيا فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه
قطعى . لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ، ما يزيد عن

ثلاثين سنة ، فلم أسود صحائف المسلمين أبائى وأجدادى والخلفاء
العثمانيين . لهذا لن أقبل بتكليفكم بوجه قطعى أيضاً) .
وبعد جوابى القطعى اتفقوا على خلعى ، وأبلغونى أنهم
سيعيدونى إلى سالونيك فقبلت بهذا التكليف الأخير .
هذا وحمدت المولى وأحمده أننى لم أقبل بأن أُلطخ الدولة
العثمانية والعالم الإسلامى بهذا العار الأبدى الناشئ عن تكليفهم
بإقامة دولة يهودية فى الأراضى المقدسة (فلسطين) .
وقد كان ذلك ماكان . ولذا فبأنى أكرر الحمد والشناء على الله
المتعال .

وأعتقد أن ماعرضته كاف فى هذا الموضوع المهم ، وبه أختتم
رسالتى هذه أئتم يديكم المباركتين وأرجو وأسترحم أن تتفضلوا
بقبول احترامى وسلامى إلى جميع الإخوان والأصدقاء .
يا أستاذى المعظم ، لقد أطلت عليكم البحث ، ولكن دفعنى
لهذه الإطالة أن أحيط سماحتكم علما ، وتحيط جماعتكم بذلك
علما ... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

خادم المسلمين

عبد الحميد عبد المجيد

كان أصحاب العقول المحركة لحركة الانقلاب والترقي عام ١٩٠٨ كانوا يهودا من الدوغة (١) أما المساعدات المالية فإنما كانت تصلهم عن طريق الدوغة ويهود سالونيك (٢) الممولين . وتقول صحيفة المشرق) .

(بأن الكل يعلم أن مركز الانقلاب إنما كان في سالونيك واليهود فيها نيف وسبعون ألفا) وهناك معلومات تؤكد أن الحقيقة الظاهرة في تكوين جمعية الاتحاد والترقي أنها غير إسلامية وغير تركية فمنذ نشأتها لم يظهر بين قادتها وزعمائها عضو واحد من أصل تركي خالص ...

كان (جاويد) يهوديا من الدوغة وقارصوه من اليهود الأسبان وكذلك طلعت بلغاريا أما احمد رضا فقد كان نصفه شركسيا والنصف الآخر مجريا ، أما نسيم روسو ونسيم مازلياح فقد كانا يهوديين .. ويقول :-

ويبرز دور اليهود ثانية في حادثة خلع السلطان عبد الحميد الثاني عندما مارس الاتحاديون الضغوط على مفتى الإسلام محمد

(١) الدوغة معناها : المرتد عن اليهودية ظاهراً والمترد عن الإسلام باطناً ..

(٢) سالونيك : تقع حالياً في بلاد اليونان ..

ضياء الدين بإصدار فتوى الخلع ثم أوفدوا هيئة مكونة من عارف
حكمت وأسعد طوبتاني وغالب باشا ومن زعماء اليهود قراصوه
رئيس المحفل الماسوني في سالونيك وشلمون ابران ووصلوا إلى
يلدز لابلاغ السلطان نبأ الخلع .

وكانت مشاعر التأثر والانزعاج بادية عليه فقال بغضب :

ما هو عمل هذا اليهودى . (يقصد قراصوه) في مقام الخلافة.

بأى قصد جئتم بهذا الرجل أمامى . ويذكر النقيب التركي
(ديبريلي) بأن السلطان عبد الحميد حدثه عندما كان مسجوناً في
سلاتيك عن آخر اجتماع له مع الزعيم الصهيونى هرتزل ورئيس
الحاخامات في تركيا فقال:

تصور أن هذين اليهوديين مثلاً أمامى لبقدما إلى سلطتنا

رشوة ، صرخت في وجههما قائلاً :

أن اخرجنا من هنا ، إن الوطن لا يباع بالنقود . طلبت إلى رجال
القصر أن يقرودهما حالاً إلى خارج القصر . وبعد ذلك أصبح
اليهود أعدائى فما ألقىه هنا فى سلاتيك من عذاب الاعتقال
ليس سوى جزائى منهم حيث لم أرض أن أقتطع لهم أرضاً لدولتهم
المزعومة) ...

ويذكر السلطان نفسه في وثيقة علي قدر من الأهمية مرفق
 الاتحاديين والصهيونية من سياسته .
 فيقول : إن هؤلاء الاتحاديين أصروا على أن أصادق على
 تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة - فلسطين -
 ووعدوا بتقديم مائة وخمسين مليون ليرة إنجليزية ذهباً فرفضت هذا
 التكليف بصورة قطعية وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي
 وأبلوغني أنهم سيعيدونني إلى سالونيك) .

(... والآن لتبدأ القصة من أولها (١)):

ففي عام (١٦٦٥م) ادعى حاخام في (أزمير) يدعى (شبتاي
 زيفي) أنه المسيح ابن الله ، بعثه ليهود العالم مرشداً ومنقذاً ،
 وكان أول بيان له كما يلي : (من ابن الله الولد الأول والوحيد له
 (شبتاي زيفي) المسيح والمنقذ الإسرائيلي ، إلى بني إسرائيل
 السلام . لما كان لكم شرف المعاصرة لخلاص بني إسرائيل .
 ولنحقق ما أخبر به الأنبياء ، والآباء ، تحولت آلامكم إلى مسرات
 وصيامكم إلى التنعم بالملذات . يا بني إسرائيل ، لن يكون لكم

(١) د . محمد طه الجاسر - مجلة العربي - العدد ٤٧٣ ..

بعد اليوم بكاء وقد منحكم الله قوة للتأسي يصعب التعبير عنها
حافظوا على عبادتكم التي اعتدتم عليها من قبل ماعدا يوم الحزن
والحداد فإنه - تكريما لقدمي - يتحول إلى يوم شكر ومسرة لا
تخشوا شيئا أبدا فان حاكميتكم ستشمل جميع الشعوب وستكون
على الكائنات الحية كلها ، سواء التي على وجه الأرض أو التي
في أعماق البحار) .

وتنتشر دعوته ، ويكثر أتباعه ، ويشاع الكثير عن معجزاته ،
وأهمها أنه لا تخترق جسمه السهام ولا تعمل فيه السيوف
والحراب . وتصل أخباره إلى الآستانة ، ويرى فيه رجال الدولة
العثمانية نشاطا هداما يسمم العقول الساذجة ، فيأمر السلطان
العثماني في ذلك العهد (محمد الرابع) بإحضاره إلى القصر في
جلسة خاصة حضرها السلطان نفسه والصدر الأعظم (أحمد باشا
الكوبرلي) ونخبة من رجال الدولة ، وأخبروه أنه تأكيداً لصدق
دعوته سيعرضون جسده لوابل من السهام من ثمانية من أمهر
الرماة ، وكما كان متوقعا ارتعد الرجل من رأسه إلى قدميه ،
وحاول أن ينكر كل شيء ، ولكن القرانن كانت دامغة ، حيث
خطرت له فكرة شيطانية يلجأ فيها إلى خديعة ينجو بها برأسه

وينقذ حياته لاختراق الأمة التركية وتضليلها فأخذ يتوسل إلى السلطان ويعدده إن عفا عنه أنه سيعتق الإسلام ، وسيكون من دعائه المخلصين ، وربما كان ذلك سببا فى هداية اليهود إلى الإسلام ، وهكذا أشهر الرجل إسلامه وسمى نفسه (محمدا) وليس الجبة والعمامة ، وعين له راتب شهري وخصص له جناح فى القصر درءا للفساد ، ولكيلا يختلط بالناس ويعود سيرته الأولى .

ويذكر المؤرخون أن إسلامه كان نكبة على الدولة الإسلامية والمسلمين بقدر ما كان انتصارا لليهودية العالمية ، فإسلامه كان مجرد كلمة فاه بها لينجو برأسه وليخلق سرطانا رهيبا فى الجسم العثماني يستفحل وينتشر ، وينتقل بالوراثة من جيل لآخر ، محافظا على نشاطه الهدام ، إذ ما لبث (المهتدى) أن طلب إذنا من القصر ليقوم بنشاط جدى ، يدعو فيه ذويه وأقاربه ومن يثق به إلى الإسلام وقد استجاب القصر لذلك ، فسمحوا له بجولات فى أنحاء البلاد وأطلقوا وراءه رجال المخابرات .

فماذا كانت النتيجة ؟

لقد أخذ الرجل يدعو كل من استمع إليه والتف حوله من اليهود فى تركيا ، إلى أن يشهروا الإسلام بأفواههم ، ويمارسوا

نشاطا هداما ، لإفساد الأمة التركبية وجعلها آلة فى أيدي
الصهيونية وأشهر اجتماع انكشف فيه أمره كان فى إحدى ضواحي
اسطنبول على البوسفور تدعى (كورو جشمه) حيث ضبط يخاطب
أتباعه بالعبرية ، وأهم مقاله : (الآن قد أصبحتم مسلمين اعملوا
بكل حرية ، عليكم أن تسيطروا على المصادر الدينية والطبيعية
والمالية والتجارية والروحية والحيوية للأتراك ، واستنفروا فى سبيل
ذلك كل إمكاناتكم ، واستخدموا مختلف الوسائل حتى تتم لكم
السيطرة الشاملة عليهم) ، حينئذ ألقى القبض على الرجل ، وكان
من المفترض أن يعدم لولا أن تدخل شيخ الإسلام ونصح بنفيه إلى
مكان يؤمن فيه شره ، لأن قتله سيجعله شهيدا ويضاعف من
الأساطير التى أشيعت حوله ، وهكذا أيضا تحولت المدينة إلى مركز للدوغة
ومصدر إشعاع للخيانة والتآمر والأفكار المسمومة فيها وضعت كل
الخطط التى أدت إلى تصفية الدولة العثمانية ، ومنها انبعثت كل
الأفكار التى اتخذت طابع التحرر وعملت فى الشخصية التركبية
تخطيطا حتى تمكنت من تسخير فئة قليلة لمآربها ، ووجهتها وجهة
لا يربطها بالعرب والمسلمين إلا العداوة والنفور . من (سلاتيك)

خرج كل من ساهموا فى تحقيق المطامع الصهيونية وفيها زرعت بذور البغضاء بين الأتراك والعرب ، وحيكت المؤامرات لتفتتبت الدولة العثمانية وتوزيعها على دول الغرب وإقامة دولة إسرائيل . وفى مقدمة هذه الفئة : جمال وأنور ونيازى ... وآخرهم مصطفى كمال الذى لقب بعد انقلابه (أتاتورك) أى أبو الأتراك !! وفور أن استولى الاتحاديون على السلطة بمساندة المثلث المشنوم كان أول شئ فعلوه أن فتحوا لهم أبواب اسطنبول والمدن التركية الكبرى بل وحتى أبواب فلسطين أيضا ليهاجر إليها اليهود ويستوطنوا فيها . وإلى سلاتيك نفى السلطان عبدالحميد الثانى ، الذى - على الرغم من كل ماكتب عنه من أباطيل - يشبت التحليل الموضوعى لوقائع التاريخ أنه كان ذا توجه إسلامى وعربى فى سياسته ، كما أنه وقف ضد أطماع الصهيونية فى فلسطين ورفض إعطائهم أى امتيازات بالرغم من العروض المغرية لدعم ميزانية الدولة بمبالغ طائلة من المال .

فى اسطنبول بدأت جماعة (الدوغة) بالسيطرة على مقدرات البلاد ، بدءا بالحكام والعسكريين فرجال الدين حتى أن أول شيخ للإسلام عين فى بدء عصر نفوذهم كان : (موسى كاظم أفندى)

فى ١٢/٧/١٩١٠ فى أوائل عهد الاتحادين ، وأخذت تصدر عنه تصرفات وفتاوى تخدم أغراضهم وتبرر تصرفاتهم ، ثم وضعوا أيديهم على موارد البلاد فجرى تعيين (دوغة جاويد) وزيرا للمالية ، وفى عهده تقدم الدوغميون فى المجالات الاقتصادية ، والتجارية ، واستطاعوا بالريا الفاحش والاحتكار وبالاحتيايل والاستغلال أن يسيطروا على الأسواق الداخلية ، ثم انتقل نشاطهم إلى الإعلام والثقافة ، فأسسوا صحفا تدعو لكل مايتنافى مع الإسلام ويزعزع ثقة التركي بمعتقداته وتراثه ، فأصدر (أحمد أمين يالمان) جريدة الوطن) ثم قدموا الدعم المالى لبعض أتباعهم لإصدار الصحف الموالية لهم كصحيفة (حريات) واغلب صحف اليوم ، إما يملكها ويديرها الدوغة ، أو تتلقى الدعم المالى منهم ، شريطة أن تسيير فى فلكتهم وتحقق أغراضهم . من هذه الصحف نذكر (ملليات) وجريدة (صباح) الأكثر انتشارا والأشد عداوة للإسلام والمسلمين والعرب باعتبارهم حملة الرسالة ، ثم قام (عمر رضا دغرول) وهو من الدوغة أيضا بترجمة القرآن ودعا إلى قراءته فى الجوامع والصلوات بالتركية ، كما ترجم الأذان ومنع الأذان بالعربية وألف (ألف تكين الب) وهو يهودى الأصل وكان يدعى قبل إسلامه

(وايز كوهين) - كتابا أسماء (التتريك) ونشره بين طبقات الشعب يدعوهم فيه إلى نبذ كل ما يتعلق بدينهم وتراثهم لأنها رموز التخلف والرجعية ولقد ورد في إحدى صفحاته (ومما لا ينكر أن الدين شيء إضافي ، أو بعبارة أخرى أمر ثانوي بالنسبة للإنسان وتنظيم حياته .

وأن الذين فسدت مشاعرهم السامية وتحللت روابطهم القومية ، فالدين لهم ، والدين عندهم كل شيء) .

ثم كانت انقلابات (أتاتورك) والرجل من سلانيك وهناك شبهات حول جذوره ، أن الرجل كان قائدا عسكريا فذا ، وهو بطل معارك الدردنيل أثناء الحرب العالمية الأولى التي أفضلت حملات الأسطول البريطاني لاحتلاله ، وحين قام بانقلابه اعتمد على قائد الجيش المؤمن (الجنرال فوزى جقمق) وتظاهر بأنه مسلم ملتزم ومؤمن صالح ، فكان يحرص على حضور صلاة الجمعة ويدعو الله رافعا يديه إلى السماء ، إلا أنه ما كاد يستتب له الأمر حتى أعلن علمانية الدولة ، وأخذ يقضى على كل رابطة مع العالمين العربى والإسلامى فألقى الكتابة بالحروف العربية ، ودعا إلى التخلص من المصطلحات العربية فى اللغة التركية ، ومكن نخبة من الدوامة من

مقاليد الحكم الذين بدأوا حملة القضاء على هوية الشعب التركي
بداً بدينه ومعتقداته ، وإثارة العداوة والكراهية بينه وبين العرب
والمسلمين ، وما تزال هذه الحملة حتى الآن ...) ...

كان (أتاتورك) كما يقول عنه صديقه ومؤرخ سيرته (عرفن
أوركا) (١)

(كان قليل الاختلاط ، غير محبوب بين الأصدقاء في حياته
المدرسية ، كان أصدقاؤه قليلين جداً ، كان يشور ويهيج بسرعة ،
وكان في صفه طالبا مثاليا ذكيا مجتهدا متواضعا ، وكان شديد
الغرام بالإناث ، يجذبه هذا الجنس كالمغناطيس .. !!!

وكان يتسلى بالخمر ويشغل نفسه بها فإنه لا يجد ما يسلى به
نفسه وروحه كالإيمان بالله واليوم الآخر لأنه كان لا يؤمن بهما ...
وكان يشعر بفرح وسرور حين يعتدى على الآخر ويسطوره ،
وكانت هذه طبيعته التي فطر عليها ، وقد تجلت هذه الطبيعة في
تصرفاته .

ولم يكن يعترف بعواطف غيره لأنه لا يرى أحدا يوازيه ، وكان

(١) نقل عن كتاب «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية» العلامة أبو

الحسن الندوي ص ٥٦ وما بعدها ..

منظورا على حب التغلب على الآخرين وإخضاعهم لإرادته وهواه ،
وكان يحب أن يبقى على القمة دائما ، وقد اطلع على كتابات
والتر وروسو ، التي بعثت فيه روح الثورة وأيقظت فيه عواطفها
الخامدة) .

(وقد هضم في شبابه مع أفكاره الثورية تعاليم ضياء كوك
ألب هضمنا جيدا ، وقد كافع كوك ألب للثور والحربة الدينية ،
وكان رائد التنوير الفكري الغربى ، وقد تكهن في سنة ١٩٠٠ م
بانقراض الدولة العثمانية واضطراب جيلها ، وأنه واقع لا محالة
لأنها عضت بالنواجذ على أسس الحكومة الفردية وكان يقول في
أكثر الأحيان (إن الحكومة الدينية حليفة وفيه للحكومة الفردية
دائما) ، وقد انتصر للتحرر عن السلطة الدينية انتصارا قويا ،
وكان يرى أن تحدد سلطات العلماء ويجب أن تحدد الجماعات
الدينية المختلفة ، ويحظر على الأحزاب المتحمسة للدين ويضيق
الحناق عليها لأنها (كما يقول) تقع فريسة الشيطان فتتهافت
بالجهاد ، وقد دعا بقوة إلى إلغاء الشريعة وإقصاء قضاة المحاكم
الدينية الذين يشرحون القانون الإسلامى ويفسرونه ، وكان يرى أن
تقام المحاكم الحديثة والمحاكم الدينية) ... !!!

ويقول متحدثاً عما كان يضمرة ويعتقده كمال عن الدين عامة
وعن الإسلام بصفة خاصة وعن وجهة نظره في كل ذلك :
« قد اقتنع بأن كفاحه يجب أن يوجهه إلى الدين ، فإنه منافسه
الأكبر وكان يعتقد من صغره أنه لا حاجة إلى الله ، إنه اسم غامض
خداع مجرد عن كل حقيقة ، وكان لا يؤمن إلا بالمشاهد المحسوس
(١) ، وكان يرى أن الإسلام إنما ظل عاملاً هداماً في الماضي ، وأنه
قد جنى على تركيا جناية كبيرة وألحق بها خسائر فادحة ، وقد
تناسى أن الإسلام وحده هو الذي أسس الامبراطورية العثمانية
الواسعة ، وكان يرى الناس قد أصبحوا فريسة الأوهام والجمود
يتأثير الإسلام ، وكان يبغض الرجل الذي يخضع للقضاء والقدر
ويقول :

- (هكذا أراد الله) (وهذا الذي قدر لي) وكان يعتقد أنه لا
وجود للإله ، والإنسان يصنع قدره ، وكان يقول في أكثر الأحيان :
إن قوة العقل وقوة الإرادة تتغلبان على (قسوة) الإله ، ولكن يقول
المستدينون : (الله يمهل ولا يهمل) كان يقول : ألم يطلع هؤلاء

(١) وقد ذكر المؤلف في كتابه أن كمال أتاتورك في آخر عهده كان يرفع قبضته
ويشير بها إلى السماء ساخراً مهدداً ..

المتدينون على الطاقة الكهربائية التي تشتغل بسرعة ؟ (وكان مصمما على سن القانون لتحريم الدين فى تركيا ، ولو احتاج ذلك إلى استخدام القوة وإلى الخدعة والتضليل) .

ويقول فى موضع آخر :

(ولم يكن لديه معنى لمبادئ علم النفس وللنظريات والفلسفات لذلك لم يمتعه شئ عن أن يعتبر الدين غير لازم لتركيا وشبنا لا حاجة إليه ، ولكن الذى أعطاه للأمة التركية عوضا عن الدين هو (الإله الجديد) أى الحضارة الغربية ، وليس من الغرب أن الأمة قد حاربت لروحها وقد تعلم درسا من تاريخ المدنبات الأخرى أن الآلهة القديمة تموت بصعوبة وعسر (لذلك لا تخرج عقيدة الإله من قلب الأمة التركية إلا بعد مدة طويلة) .

ويقول فى موضع آخر :

(وكان يبغض الإسلام والعقيدة الصحيحة الراسخة بغضا شديدا ، وكان يقول : يجب أن نكون رجالا من كل ناحية ، قد قاسينا خطوبها ومصائب عظيمة وكان السبب فى ذلك أننا عشنا فى عزلة عن الحياة ولم نحاول معرفة اتجاه العالم ويجب أن لا نحتفل بما يقول الناس ، نحن فى طريق الحضارة والمدنية ، ويجب

أن نعتز بذلك ونفتخر ، انظر إلى المسلمين فى نواحي العالم الإسلامى .. إنهم يعانون من المصائب والنوازل والدمار ، لماذا ؟ لأنهم لم يستطيعوا أن يستخدموا عقولهم للتسجيم مع هذه الحضارة السامية المشرقة ، وهذا سبب بقائنا مدة طويلة فى الحضيض ، وراء الركب ، وتردينا الآن فى الهوة السحيقة ، وان استطعنا فى السنوات الماضية أن ننجح إلى حد فى إنقاذ أنفسنا فذلك لأن عقلياتنا قد تطورت ، ولكننا لا نقف على مكان ، بل إننا نهضنا لنتقدم ونواصل السير إلى الأمام فليحدث ما يحدث ، ليست لنا الآن طريق أخرى ، ويجب أن تعلم الأمة أن الحضارة نار ملتهبة تحرق جميع من لا يخضع لها .

ويذكر بغضه وعدائه للدين فى موضع آخر ، فيقول :

(لم يكن ذلك سرا أن "مصطفى كمال" لا يدين بدين ، لذلك كان شائعا بين الناس أن الخلافة ستلغى قريبا ، وقد فزع الناس حين سماع أن "مصطفى كمال" رعى المصحف على رأس شيخ الإسلام الذى كان من كبار علماء الإسلام وشخصية محترمة) !!!
ويذكر المؤلف حبه وهيامه بالحضارة الغربية وما كان لها فى نظره من القدسية والحرمة وكيف كانت تسيطر على عواطفه

وتتغلغل في عروقه ودمه ، فيقول :

(إن مصطفى كمال كان يتمسك إلى حد كبير بما يلقن ويقول
ويأمر به الناس ، وكان يعبد هذا الإله الجديد (الحضارة الحديثة)
بحماس ولهفة وكان له عابدا وفيما ، وقد نشر هذه الكلمة
(الحضارة) من أقصى البلاد إلى أقصاها وعندما يتحدث عن هذه
الحضارة تتقد عيناه لمعانا وإشراقا ، ويظهر على وجهه إشراق
كإشراق الصوفية عند مراقبة الجنة) .

ماذا كانت فكرته عن الحضارة وكيف كان يريد أن يرى الأمة
التركية؟

يقدر ذلك من الكلمات التالية التي يذكرها المؤلف :

(يقول مصطفى كمال لشعبه : يجب علينا أن نلبس ملابس
الشعوب المتحضرة الراقية ، وعلينا أن نبرهن للعالم أننا أمة كبيرة
راقية ، ولا نسمح لمن يجهلنا في الشعوب الأخرى بالضحك علينا
وعلى موضتنا القديمة البالية ، نريد أن نسير مع التيار والزمن) .
(كان يتصور تركيا متطورة مصوغة في صياغة جديدة ، ولكن
المواد الخام الإنسانية التي رزقها الشعب التركي) كانت مجموعة
بشرية تنسم بالتشاؤم والكآبة ولم تتناولها يد صناع حاذق شأن

الأغمار الذين يدخلون في الخدمة العسكرية جديدا ، بدأ يشتغل وحيدا وهو دافق بالحياة لا يثق إلا بنفسه ، لا يهدأ ولا يستريح ، وقد أصبح التدخل في شئون غيره عادة ، وكان ممتلئا بالحبوية والقوة الفكرية) .

وقد قرر منع الطربوش وغطاء الرأس ، والزم لبس القبعة على الرأس عوضا عنه لكي ينصيح الشعب التركي بصبغة الأمم الغربية بأسرع ما يمكن ، ويندمج بها اندماجا كليا ، ولاتبقى ميزة يمتاز بها الشعب التركي عنها .

استعمل القسوة النادرة والعنف البالغ في تحقيق هذا الغرض كأنه لا إصلاح أكبر وأهم من هذا ، وكان سعادة الشعب كانت تتوقف على ذلك ، وكأنه الشرط الأساسي لمجد تركيا وكرامتها ، وأن حرب القبعة الدموية تحولت إلى حروب صليبية .
يذكر مؤلف سيرته التركي هذه المعركة ويقول :

(وقد حدثت ثورات واضطرابات عظيمة هددت سلامة تركيا ، حتى أصدرت الحكومة أمرها لبارجة بالبقاء في ميناء البحر الأسود ، وأقيمت المحاكم في كل ناحية وصوب وفي أمكنة مختلفة للبلاد ، وبدأت تشتغل وتحكم ، أن هذه الأحكام أهاجت الثوار أكثر من

ذى قبل ، وأعدم رجال الطبقة الدينية الذين نفخوا فى قلوب
الناس روح المقاومة والحماس الدينى القوى ، أو اضطروا لأن
يختلفوا عن الأنظار ، ولم يستعمل رفقا ورحمة ومسامحة فى
مناسبة وقرر مصطفى كمال تنفيذ المشروع وإقامه ، ولم يكن
يحتفل بالوسائل والطرق التى يستخدمها فى هذا الشأن ، يلقي
القبض على الناس وكانوا يشنقون لمجرد أنهم وجدوا يسخرون من
هذه الأحكام واستهدف لذلك الأبرياء والمجرمين سوا ...

إن كمال لم يؤنب المحاكم على إجراءاتها العنيفة ولم يتوقف
فى تحطيم إرادة الشعب .

وكان يقول فى ذلك الحين فى فخار وكبرياء :

(أنا تركيا ، هزمتى هزيمة تركيا) وقد أشارت هذه الأناينة
الجنونية أولئك الذين كانوا يعدونه منقذ تركيا وقد كسبت معركة
القبعة أخيرا ، وفازت المحاكم واعترف الجمهور والشعب بهزيمتهم
وقد أرسل مصطفى كمال مندوبا من قبله من أعضاء البرلمان أديب
ثروت إلى المؤتمر الإسلامى بمكة المكرمة (١٩٢٧م) ليشيت للعالم
نجاحه وانتصاره وكان أديب ثروت المسلم الوحيد الذى حضر المؤتمر
وهو لايس قبعة ، وقد استقبله الممثلون المسلمون الآخرون بانقباض

وعلى غضاضة ..

ولقد نظر الكثيرن من الزعماء والقادة إلى مصطفى كمال نظرة إعجاب وحب وكان المرحوم مصطفى النحاس باشا من المعجبين به هنا فى مصر ...

وقد ذكر الرئيس محمد أنور السادات أنه تأثر به فى مرحلة مبكرة من العمر ، وأن والده كان يعلق صورته فى البيت ، ويشيد بزعامته وجهاده فى كل وقت ...

فهل كان (أتاتورك) يستحق كل هذا الإعجاب والحب ؟

إن ما فعله الرجل لتحرير بلاده عظيم من غير شك .

لكن ... قليل هم العظماء والزعماء الذين يشرون هذه العظمة وتلك الزعامة إلى نهاية الشوط

هتلر ... كان أكثر عظمة من أتاتورك ... وانتهى به الأمر إلى الانتحار فى قيو مظلم تحت الأرض وموسولنى فعل لإيطاليا أكثر مما فعل اتاتورك ...

وكان مصيره الصلب على جذع شجرة فى جبال الألب !
وغيرهما كثير من المغرورين والزعماء الذين جلبوا لأوطانهم المذلة والعار والقحط والجذب !!!

لقد بدأت معرفتى تتسع حول هذه الشخصية منذ سنوات قليلة
خلت كنت فى رحلة دراسية لمدينة كمبريدج (Cambridge
City) فالتقيت هناك مصادفة ببعض الطلبة الأتراك الذين
يدرسون فى جامعتهما الشهيرة ، وبعد أن تعارفنا وتعمقت بيننا
الألفة سألت هؤلاء الإخوة قائلاً :

(ترى إلى أى مدى تجح أتاتورك ، وفى أى صف من القادة
العظام يضعه الناس والشعب ؟

وكانت مفاجأة لم أتوقعها من قبل ...

لقد صاح هؤلاء الطلبة فى وجهى بعنف .. وقالوا :

لا تقل (أتاتورك) بل قل (أخيت ترك) !!!

فعلمت من هذه اللحظة أن (أتاتورك) معناها (أبو الترك) وأن
هؤلاء الإخوة الأشقاء يرفضون الاعتراف به كأب .. بل هو فى
نظرهم أخيت الخيثة الذين نكب بهم الشعب !!!

وفى موسم الحج عام ١٣٩٠ هـ التقيت فى فندق (جدة بالاس)
- بوفد يمثل حزب السلامة الوطنى ، وسمعت من هؤلاء النواب
والقادة مالا يكتب ! وكشفوا النقاب عن كثير من حياة (الذئب)
أو (التعلب) !

لقد ذكر الأستاذ / عبد الحميد عبدالغنى فى مقال له نشر
بأخبار اليوم (١)

(فى الواقع إن حركته - أى حركة أتاتورك - لم تكن حركة
عداء للدين الإسلامى ! ولا حركة انفصال اجتماعى أو فكرى عن
العالم الإسلامى ! بل كانت حركته حركة قومية بحتة ترمى إلى
النهوض بتركيا من القيود بتخليصها من القيود التى تكبل
أيديها ، وتقيد خطاها باسم الخلافة الإسلامىة ، وطقوسها
ومراسمها (وفى المقال نفسه .. وبعد أسطر قليلة . وفى الصفحة
نفسها يقول الكاتب ما نصه :

(قرر أتاتورك أن يستبدل بالحروف العربىة الحروف اللاتينىة
حتى فى طبع المصحف الشريف ، وكذلك أسرف أتاتورك فى
قوانين الأحوال الشخصىة إلى دائرة الخروج على القواعد الإسلامىة
المقررة !!!

فقد حرم القانون تعدد الزوجات تحريما باتا ؟! .. وجعل للقضاء
وحده حق الفصل فى طلب الطلاق ! وعدل قواعد الميراث فسوى
بين الابن والبنت !!! ورفع عن المرأة الحجاب .. !

(١) أخبار اليوم ١٩٧٦/٩/٢٥ ..

واشتط وأسرف فدخل دائرة محرمة؟! .. حيث أباح للمرأة المسلمة أن تتزوج من تشاء من أى دين كان؟! وقرر إلغاء الأوقاف ووزارة الأوقاف..؟!

هذا هو مافعل (أتاتورك) كما ذكر الكاتب بخط يده ، فكيف يستقيم ما كتبه أولاً ، مع ذكره ثانياً ؟ وكيف يقول الكاتب قبل ذلك بأن حركته لم تكن حركة عداً للدين الإسلامى ، ولا حركة انفصال اجتماعى أو فكرى عن العالم الإسلامى ؟

وإذا لم يكن هذا هو الإلحاد والردة ، والانفصال والقطيعة فهل كان ينتظر الكاتب أن يقوم صاحبنا بهدم الكعبة وتخريب المسجد النبوى فى المدينة؟!

إن (أتاتورك) لم يكن ينطق بلسانه ، أو يفكر بعقله أو يعمل لحساب شعبه ووطنه ، لقد كان آلة من آلات التدمير التى صنعها الغرب لحسابه ، وكان لعبة من تلك اللعب التى تجيد تشغيلها الجمعيات السرية لحساب الصليبية واليهودية وقد نشأ أتاتورك وعاش فى أحضان جمعية (الاتحاد والشرقى) التى لعبت أخطر الأدوار لتدمير دولة الخلافة .

وكانت هذه الجمعية وأعضائها من أكبر المخربين للدولة ...
غير أننا لا نلوم هذا المؤلف أو ذاك حين يكتب . فالكاتب
والقارئ يكتب ويقرأ ما يميل عليه أو يفرض ، لأن أكثر كتابنا
ومفكرنا من تلامذة الغرب الذي يرى في الإسلام عدوه اللدود
الأوحد ، ولم يكن مصطفى كمال إلا واحداً من هؤلاء التلاميذ في
الروح والمشرّب . !

لقد دعا أتاتورك بقوة إلى إلغاء الشريعة ، وإقصاء قضاة
المحاكم الدينية ...

وقد اقتنع بأن كفاحه يجب أن يوجهه إلى الدين فإنه منافسه
الأكبر ! وكان يعتقد من صغره أنه لا حاجة إلى الله !!!
وكان في آخر عهده يرفع قبضته وبشير بها إلى السماء ساخراً
مههددا ! وكان يرى أن الإسلام إنما ظل عاملاً هداماً في الماضي ،
وأنه جنى على تركيا جناية كبيرة ، وألحق بها خسائر فادحة وكان
يقول في أكثر الأحيان إن قوة العقل وقوة الإرادة تتغلبان على قوة
الإله .. !!

وكان مصمماً على سن القانون لتحريم الدين في تركيا ولو
احتاج ذلك إلى استخدام القوة ، وإلى الخدعة والتضليل .

كان يبغض الإسلام والعقيدة الراسخة بغضاً شديداً ! ولم يكن سرا أن (مصطفى كمال) لا يدين بدين ، وقد فزع الناس حين شاع أن (مصطفى كمال) رمى بالمصحف على رأس شيخ الإسلام !!!

وقد قرر منع الطربوش وغطاء الرأس وألزم لبس القبعة واستعمل القسوة النادرة والعنف في هذا الغرض كأنه لا إصلاح أكبر وأهم من هذا ..

وقد حدثت ثورات واضطرابات عظيمة هددت سلامة تركيا ، وأقيمت محاكم في كل ناحية ، وأعدم رجال الطبقة الدينية الذين نفخوا في قلوب الناس روح المقاومة والحماس الديني ..

ولم يكن يعبأ بالوسائل والطرق التي يستخدمها في هذا الشأن .. يلقى القبض على الناس وكانوا يشنقون لمجرد أنهم وجدوا يسخرون من هذه الأحكام ، واستهدف لذلك الأبرياء والمجرمين على السواء .

* * *

ولما ابتدأت مفاوضات مؤتمر لوزان لعقد صلح بين المتحاربين اشترطت إنجلترا على تركيا أنها لن تنسحب من أراضيها إلا بعد تنفيذ الشروط التالية :-

أ- إلغاء الخلافة الإسلامية ، وطرد الخليفة من تركيا ومصادرة أمواله .

ب - أن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة.

ج - أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام .

د - أن تختار لها دستورا مدنيا بدلا من دستورها المستمد من أحكام الإسلام .

فنفذ (كمال أتاتورك) الشروط السابقة ، فانسحبت الدول

المحتلة من تركيا . !!!

ولما وقف (كرزون) وزير خارجية إنجلترا في مجلس العموم

البريطاني يستعرض ماجرى مع تركيا ، احتج بعض النواب

الإنجليز بعنف على (كرزون) واستغربوا كيف اعترفت إنجلترا

باستقلال تركيا ، التي يمكن أن تجمع حولها الدول الإسلامية مرة

أخرى وتهجم على الغرب.

فأجاب (كرزون) :

لقد قضينا على تركيا التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم ...

لأننا قضينا على قوتها المتمثلة في أمرين :

الإسلام والخلافة !!!

فصفق النواب الإنجليز كلهم وسكتت المعارضة ... !
ومن الوثائق السرية التي نشرت مؤخرا وثيقة موقعة باسم وزير
المستعمرات البريطاني واسمه (اورسرجو) .

تقول هذه الوثيقة :-

إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي
يجب أن نحاربه وأن نقاومه .. !

وليست بريطانيا وحدها هي التي تلتزم بذلك بل تقف معها
فرنسا وكل دول أوروبا .!

ومن دواعي فرحتنا أن الخلافة الإسلامية قد زالت ! وتتمنى أن
يكون ذلك بغير رجعة .!

إن سياستنا تستهدف دائما منع قيام الوحدة الإسلامية أو
التضامن الإسلامي ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك (١) . !!!

إن سياستنا في الحرب العالمية الأولى - مع العرب - لم يكن
الغرض منها القضاء على هذه الخلافة فقط بل والعمل على أحياء
النعرات القومية والعنصرية في مصر وتركيا وغيرها . !!!

* * *

(١) تاريخ الوثيقة ١٩٣٨/١/٩ ..

وهذا هو ما فعله (أتاتورك) ونفذه بالكلمة وبالحرَف !!!
يقول العلامة محمد إقبال :- (إن كمال الذي تغنى بالتجديد
في حياة تركيا ودعا إلى محو كل أثر قديم وتراث قديم جهل أن
الكعبة لا تجدد ولا تعود إلى الحياة والنشاط إذا جلبت لها من
أوروبا أصنام جديدة .. إن زعيم تركيا لا يملك اليوم أغنية جديدة
إنما هي كلها أغان مرردة معادة تتغنى بها أوروبا من زمان ، إن
الجديد عنده هو القديم الأوروبي الذي أكل عليه الدهر وشرب ،
ليس في صدره نفس جديد وليس في ضميره عالم حديث فاضطر
إلى أن يتجاوب مع العالم الأوروبي المعاصر ، إنه لم يستطع أن
يقاوم وهج العالم الحديث فذاب مثل الشمعة وفقد شخصيته (١) .

* * *

في كتاب « كليلة ودمنة » قال الملك دبشليم لبيدها الفليسوف :
أخبرني عمن يدع عمله الذي يليق به ويطلب سواه فلا يقدر
عليه .

فبراجع الذي كان في يده من عمله فيقوته ويبقى حيران متلذدا
- أي مترددا .

(٢) بال جبريل ..

فقال الفيلسوف :

زعموا أن «غرابا» رأى «حجلة» فأعجبته مشيئتها فطمع فى تعلمها .. فراض نفسه فلم يقدر على إحكامها .. فانصرف (عاد) إلى مشيئته التى كان عليها فلم يحسن .. فبقى حيران مترددا لم يدرك ما طلب ، ولم يحسن لما كان فى يده الحفظ ..!!

ثم قال الفيلسوف للملك :

فالولاية فى قلة تعاهدهم للرعية فى هذا وأشباهه ألوم وأسوأ تدبيرا ، لأن تنقل الناس من بعض المنازل إلى بعض فيه صعوبة ومشقة شديدة ، ثم إن الأشياء فى ذلك تجرى على منازل حتى تنتهى إلى الخطر الجسيم من مضادة الملك فى ملكه (١١) ..

* * *

ولم يكن «أتاتورك» إلا «غرابا» فى دنيا الزعامة ! .. ولم تكن «أوروبا» أو «الحجلة» التى تعلق بها إلا نكبة عليه إلى يوم القيامة !؟

إن المأساة هنا لا تكمن فقط فى محاربتة للدين والعقيدة ، لقد ترك الرجل تركيا من ورائه عالية تعيش فى كنف غيرها فكرا

(١١) كلية ودمنة ط - دار الشروق - بيروت - ١٣٧٣ هـ - ١٩٧٣ م ..

وسياسة ولا تزال تركيا - حتى يومنا هذا - دولة متخلفة بمقاييس التقدم والحضارة ولم يعترف بها الغرب كدولة أوروبية ، وكل علاقاتها مع أوروبا لا تزيد عن علاقاتها بأية دولة في البحر الكاريبي ، أو المحيط الهندي ، باستثناء تلك الأحلاف التي جعلت من تركيا سندا للغرب في وقت الشدة وغمة على الشعب في أوقات السلام والهدنة .. وكما يقول المرحوم العلامة إقبال :

« إنكم أيها الأتراك أخذتم جوار أوروبا وصحبتها ، مع أنكم كنتم بفضل الإسلام على مقربة من النجوم والكواكب .. » !!!

* * *

« والجنرالات » الذين يحكمون تركيا الآن صورة طبق الأصل « من شيطانهم الأكبر ! .. لقد زرعهم أتااتورك في أحشاء « الشعب » بطريقة غير شرعية ! ..

إنهم نسخة متكررة من لقطاء « التاريخ » الذي لا يعرف لهم أصل ولا تعرف لهم هوية .. !!!

وقريبا يكشف « الستار » عن حقيقة هؤلاء الجنرالات الذين فقدوا نور البصيرة والبصر وتلطخت جباههم وأيديهم بدماء الأبرياء من أبناء الشعب التركي البطل .

إن « أتاتورك » لن يفيدهم شيئا يوم الحساب الذى أصبح قريبا
وإن أوروبا أو « الغرب » لن يحميهم من نهايتهم السوداء أبدا ! ..
إن هؤلاء الجنرالات لا يعوون دروس التاريخ جيدا .. إن تاريخ
سنة قرون من الجهاد فى سبيل الله لن يذهب عبثا .. والشعب
التركى لن يقبل أن يضيع تاريخه سدى ..

فى « وصيته » إلى ابنه كتب الأمير « عثمان » مؤسس الدولة
العثمانية إلى ولده وولى عهده يقول له : " يا بنى إياك أن تشتغل
بشئ لم يأمر به الله رب العالمين ، وإذا واجهتك فى الحكم معضلة
فاتخذ من مشورة علماء الدين موثلا ..

يا بنى أحط من أطاعك بالإعزاز ، وأنعم على الجنود ، ولا
يغرنك الشيطان بجندك وبمالك ، وإياك أن تباعد عن أهل
الشرية.

يا بنى إنك تعلم أن غايتنا هى إرضاء الله رب العالمين ، وأن
بالجهاد يعم نور ديننا كل الآفاق ، فتحدث مرضاة الله جل جلاله .
يا بنى ! .. لسنا من هؤلاء الذين يقيمون الحروب لشهوة حكم
أو سيطرة أفراد فنحن بالإسلام نحيا وللإسلام نموت ، وهذا يا
ولدى ما أنت أهل له " !! ..

غير أن الجهاد ضد هذا التجديف والهرطقة من الجنرالات كان قد بدأ في السنوات الأولى من حكم أتاتورك .. كان هناك شيخ اسمه « بديع الزمان » وقد حضر بديع الزمان إلى « اسطنبول » من شرق تركيا في عهد السلطان عبد الحميد يطلب فتح المدارس ، وإنشاء جامعة في « ديار بكر » غير أن الأحداث عاجلته وخُلع السلطان ، ثم كانت الحرب العالمية الأولى فتطوع للقتال ، ثم أسره الروس ونفوه إلى « سيبيريا » وتمكن هناك من الفرار والعودة إلى تركيا التي كانت قد سقطت في أيدي الغزاة ، فانضم إلى حركة مصطفى كمال التي كانت تستهدف في هذا الوقت تحرير الوطن وإنقاذه من يد الأعداء ، ثم اختلف بعد ذلك مع « أتاتورك » حين ظهر الانحراف ، فتفتت السلطة إلى غرب البلاد فظل ما بين نفى وسجن وتحديد إقامة من سنة ١٩٢٨ إلى سنة ١٩٥٠ ، وخلال تلك الفترة ألف مائة وثلاثين كتابا سماها « رسائل النور » شرح فيها الدين بأسلوب جديد استهوى الشباب المشفق .. فتناقل الناس رسائله نسخا باليد ، وأصبح قراء الرسائل يسمون طلاب « رسائل النور » أو جماعة « نورجو » وهي جماعة تضم على الأقل ثلاثة ملايين شاب تركي .

فى تاريخنا الإسلامى .. كانت هناك ثلاث حركات تكاد تكون متشابهة بل تكاد تكون متطابقة .. كان لكل حركة من هذه الحركات دورها وأثرها فى الحفاظ على عقيدة الأمة ، وعلى بقائها صافية نقية ، وعلى تجنبها مخاطر التفتت والذوبان فى عقائد أخرى زائفة ، أو السقوط فى شرك الحضارة الوثنية القائمة .

أقدم هذه الحركات الثلاث هى حركة الإمام المجدد المجاهد الزاهد الشيخ أحمد بن عبد الأحد الفاروقى السرهندى الملقب بمجدد الألف الثانى للهجرة فى الهند .

وثانى هذه الحركات هى حركة الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس فى الجزائر .

وثالث هذه الحركات هى حركة الإمام المجاهد بديع الزمان سعيد النورسى فى تركيا .

كانت حركة « ابن باديس » تجسيدا للمقاومة والثورة ضد الاستعمار الفرنسى الذى حاول طمس وتغيير كل ما هو إسلامى أو عربى فى الجزائر .

ألم يعلن الكاردينال الفرنسى « لافيجرى » أن الجزائر لم تعد مسلمة .. وأن الجزائر أصبحت مهذا للمسيحية ، وأن أجراس

الكنائس يجب أن تعلن لتحل مكان الأذان في أى مسجد أو زاوية..!!!؟

وكما يخرج اللبن من بين فرث ودم ، ويطلع الفجر من بين ثنايا
الظلام والليل استيقظت الجزائر كلها على صوت الشيخ عبد
الحميد بن باديس وهو يعلن بأعلى .. صوت :

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب

من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب

أو رام إدماجا له رام المحال من الطلب

وقد سلك في ذلك طريق التعليم والتربية ، والوعظ والدعوة ،
والنشر والصحافة ..

كانت حركة الشيخ بن باديس معاصرة لحركة الشيخ سعيد ،
فالشيخ سعيد ولد في عام ١٢٩٣هـ بينما ولد الشيخ بن باديس
في عام ١٣٠٨هـ .. أي أن الشيخ سعيد أكبر من باديس بحوالى
خمسة عشر عاما ..

وبينما توفى الشيخ عبد الحميد بن باديس مبكرا .. أى فى عام
١٣٥٩هـ فقد توفى الشيخ سعيد متأخرا أى عام ١٣٧٩هـ ..

غير أننا نرى فى حركة الإمام « أحمد السرهندى » تطابقا كاملا

مع حركة الإمام سعيد النورسى .. من حيث الظروف التى نشأت فيها والمشكلات التى واجهتها ، والنتيجة التى انتهت إليها كل منهما ..

فالإمام «السرهندي» نشأ فى عصر أسوأ ملوك الإسلام فى الهند قاطبة .. فى عصر الملك «أكبر» .. ذلك الغر الذى أراد أن يقضى على الإسلام فى الهند قضا . مبرما وإلى الأبد ..!!

وأن يضع ديننا جديدا مقتبساً من شعائر الوثنية ورسومها يتخللها شئ من تعاليم الإسلام وتوجيهاته .. والذى حمله على اقتراف هذه الجريمة الشنعاء حرصه على بقاء الملك والتحبيب إلى أهالى البلاد من الهنادك ، وزعمه الفاسد بأن هذا الصنيع يقربه إليهم ويرفع مقامه فى أعينهم ويحل محل الصدارة من قلوبهم .. فاختر لذلك طرقاً عديدة ومناهج متشعبة .

منها تزوجه من بنات أمراء الهنادك مع بقائهن على عقائدهن وتمسكهن بدياناتهن وأدائهن لشعائرهن فى القصر الملكى . ومنها تخلفه بأخلاق الوثنيين وعاداتهم وتقليدهم فى ملابسهم . وقد بلغ منه الكره والعداء للإسلام أن كان يسمى الخدم والفراشين

بأسماء النبي ﷺ (أحمد ومحمد) .. تحقيقاً لشأن الرسالة وعضاً
من كرامتها .

وكذلك استبدل بالتقويم الهجرى الإسلامى تقويماً جديداً سماه
التقويم الإلهى يبتدىء بسنة جلوسه على سرير الملك .

ومن بدعه أنه أحل الخمر والقمار وغيرهما من الخبائث
والمنكرات وأعانه على ذلك علماء السوء فى عصره من عبيد
الدينار والدرهم ، فزينوا له ما سوله له عقله المعتوه ، وجعلوه
يستيقن من نفسه العصمة وتخوله الحق فى أن يشرع من القانون
ما يشاء ويضع من الأحكام ما يريد إلى غير ذلك من الأباطيل
والخزعبلات التى تضيق هذه العجالة عن سردها .

وجملة القول إن هذه البدع والمنكرات ما كانت إلا مقدمة لما
كان عقد العزم عليه من وضع دين جديد ينسخ به دين الله الخالد
بزعمه ظناً منه ومن خواص أشياعه أن هذا الدين (الإسلام) الذى
جاء به محمد العربى - و «البدوى» حسب تعبير أولئك الزنادقة ،
قد مضى عليه ألف سنة ، والعصر الجديد يومئذ فى حاجة إلى دين
جديد يوافق ميسول أهل العصر وأهواءهم ونزعاتهم .. فأعلنوا
دينهم الجديد وسموه «الدين الإلهى» .

وكان شعارهم فى ذلك «الله أكبر» يريدون به أن هذا الملك الضليل المعتوه (أكبر) هو الله...!! (١)

فكان من أثر كل ذلك أن أصبح عصر هذا الملك المأفون (٩٦٤ - ١٠١٤هـ) عصر بلاء ومحنة للإسلام والمسلمين فى هذه الديار اتسع فيه الخرق على الراقع وجاوز السيل الزبى .. فاضطهد من اضطهد من عباد الله وحبس ، واعتقل من اعتقل .. إلا أنه مما يؤلم القلب ويدمع العين أنه قد زلت فى هذه الفتنة العمياء أقدام الخاصة والعامة ولم ينج من شرها حتى من كان يعد من كبار العلماء الفقهاء فى ذلك العصر ، فلم يثبت فى تلك المحنة الكبرى إلا عدد قليل منهم جدا .. أما جمهور العلماء والعدد الغالب منهم ، فقد استسلموا لأمر الملك وجيروت السلطان القاهر ولم يتخرجوا من التوقيع على «المحضر» الذى ادعى للملك العصمة وخوله الحق فى وضع الشريعة .

لما آل الأمر إلى ما تقدم بيانه من غربة الإسلام فى هذه البلاد ، والتضييق على المسلمين واضطهادهم ، وأصبح مثل القابض على الدين من بينهم كمثل القابض على الجمر .

(١) كان من أشد المعجيبين بهذا الملك المعتوه - هنا فى مصر - الهالك لويس عوض !؟

وقف الرجل الذى قبض الله أن يقف فى وجه هذا الطاغية
وأنتصاره الضالين المضلين ، ويرفع لواء أفضل الجهاد ، ويصدع
بكلمة الحق ويكبح جماح غوايتهم ، ويقضى على بدعهم وشورهم
قضاء مبرما ، فقام الإمام المجاهد العالم الزاهد الشيخ أحمد بن
عبدالأحد الفاروقى السرهندى الملقب بمجدد ألف الثانى للهجرة
بالمجدارة والاستحقاق ، وشمر عن أذياله لمقاومة الفتنة الأكبرية ورد
مكاييد أعداء الإسلام ، وتهذيب نفوس أهل الغواية وجاهد فى
ذلك جهادا موفقا مبرورا حتى أنجحه الله فى مساعيه ، وقضى
قضاء مبرما على فتنة هذا الملك المعنوه وحواريه ..

كانت انتخابات سنة ١٩٥٠ معلما من معالم التحول فى تاريخ
تركيا الحديث وبعبارة - أكثر تحديدا ودقة - بداية سقوط
« أناتورك » فى أعين الشعب التركى الشقيق .. ففى هذه
الانتخابات نزل الحزب الديمقراطى ببرنامج عجيب يتلخص فى
عدة نقاط :

أولها : عودة الأذان باللغة العربية ..

وثانيها : السماح للأتراك بالحج ..

وثالثها : إعادة تدريس الدين بالمدارس ..

ورابعها : إعادة « أيا صوفيا » مسجدا كما كان ..

وكانت النتيجة مذهلة .. فقد حصل الحزب الديمقراطي على ثلاثمائة وثمانية عشر مقعدا ، وسقط حزب « أتاتورك » الذي لم يحصل على أكثر من اثنين وثلاثين مقعدا .. واستجاب « عدنان مندريس » زعيم الحزب الديمقراطي لمطالب الشعب على الفور .. فعقد أول جلسة لمجلس الوزراء في غرة رمضان ..! وأعاد « الأذان » باللغة العربية كما كان .. وبدأ تعمير المساجد وأصدرت الحكومة قانونا تستعيد به المساجد التي باعها « أتاتورك » ..! .. وتقرر تدريس الدين في المدارس .. وفتحت مدرستان للأئمة والخطباء ..! .. كما تقرر فتح خمس وثلاثين ألف مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ..! .. وقد ذكر المراسلون ووكالات الأنباء أنه في اليوم الذي تم فيه إعلان الأذان باللغة العربية خرج الرجال والنساء إلى الشوارع باكين من الفرحه قائلين :

آذان عربي شريف .. آذان عربي شريف ..! ..

وقد كتبت « باري ماتش » الفرنسية حول مظاهر الصحوة الإسلامية وتحذير الغرب منها قالت :

« من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي ومن إفريقيا
السوداء إلى حدود سيبيريا بدأ صوت الإسلام يرفع راية الإسلام
في كل مكان ، وراية الإسلام بدأت تخفق من جديد بعد طول
غياب في بعض الأماكن بينما هي تستعد للارتفاع في مناطق
أخرى .. فما هي الاحتياطات التي ينبغي على الدول الغربية أن
تتخذها في مواجهة ذلك ؟ .. وكيف نستطيع أن ندرك حقيقة ما
يجري لكي لا نفاجأ بالأحداث » ..!؟

إن الأجواء مهيأة لحدوث الصحوة الحقيقية التي تتوج
باستئناف الحياة الإسلامية من خلال صياغة نظام إسلامي بديل
للنظم الوضعية المعاصرة ، وبحيث يستوعب ضرورات الحياة
الحديثة ومستجداتها ، ويتلمس لها الحلول الشرعية عن طريق فتح
باب الاجتهاد سواء من قبل الفقهاء كأفراد أو من قبل المجامع
الفقهية في العواصم الإسلامية ..

وإذا كانت الحقبة الأخيرة قد أكدت انتصار الإسلام في معركة
التحدي لكل من الرأسمالية العلمانية والشيوعية الإلحادية ،
بديل الفشل الذي نلمسه في الحضارتين الماديتين الشرقية والغربية
فإن الإسلام يؤكد لنا جدارته للعودة إلى حياتنا من خلال صموده

فى كل المعارك التى تعرض لخوضها حتى الآن ..؟!
وكما يقول الكاتب البريطانى والصحافى المعروف «إدرارد مورتيير» أن مصطفى كمال بالرغم من كل الإجراءات التى اتخذها لتحديث وعلمنة تركيا إلا أنه لم يستطع قتل الشعور الدينى الجارف داخل قلوب ومشاعر غالبية الشعب التركى رغم المحظ الذى مارسه «الكمايون» فى تركيا طيلة السنوات الستين الماضية .. ويقول : "إن شعورا جارفا وقويا للعودة للتقاليد والنظم الإسلامية قد نما بين مختلف طبقات الشعب التركى" ..

لقد ذهب مراسل جريدة «التايمز» The Times إلى أحد البنوك التركية فشاهد هذا المشهد : لدى إحدى مناضد الصرف ، وعدد من موظفى المصرف يقبلون فى جدال عنيف على سيدة كهلة تدل ملابسها الظاهرة على أنها من الفلاحين ..
وكانت السيدة تصيح بلهجة تركية حازمة :

"كلا أبدا .. اصنعوا بالنقود ما بدا لكم ولا تعطونى إياها" ..

ألم يرد فى كتاب الله أن أكل الربا حرام مهلك ...!!!

ودنوت منهم مأخوذا بهذا المشهد الرائع .. وقام من بينهم محمد «بك» وهو تركى من أبناء الجيل الحديث ذى الصبغة

الأوروبية الخالصة ولا يكاد يظن الناظر إليه في أى مكان إلا أنه غريب . وقد عهدته باسمنا رزينا - قد علاه خليط عجيب من الحرج - فأقبل على مبينا أنها قروية لها مع المصرف حساب ، وهو أمر أصبح مألوفاً نتيجة الإثراء الذى طرأ منذ أعوام على كثير من الفلاحين الأتراك .. ثم روى لى كذلك أنها (مسلمة شديدة التدبن شأن سائر الفلاحين) وأنها استحققت خمسين ليرة فائدة على ودائعها لكنها تأبى إياه قاطعاً أن تمس شيئاً منها لأن القرآن ينهى عن أخذ الربا) !!..

أمعنت النظر فيها ، فإذا هى ضارية على رأسها بالحمار المعهود ساترة به ذقتها ومسدلة إياه على أسفل الجبهة .. وهذا الشرشف - كما يسمونه - هو البقية الباقية من سالف الحجاب فى تركيا .. وكانت ترتدى ثياباً فاقعة الألوان وسراويل واسعة فضفاضة مما يعرفونه باسم «الشلفاز» ..

ولبتت تتأمل فى كشف رصيدها بكثير من الريبة .. ثم انبرت فجأة مشيرة بينانها - إشارة اتهام - إلى جملة من الأرقام أضيفت إلى الحساب ، معلنة بحزم فاصل :

« هذا هو » الفائض ولن آخذه أبداً !!..

يقول مراسل التايمز (The Times) : لقد أيقنت من هذه اللحظة أن الإسلام في تركيا يستعصى على الموت !!.. وأن كل ما فعله « أتاتورك » تلاشى أمامى فى غمضة عين ..!!
إن رأس الأمر كله هو الدين - كما قال مولانا محمد على -
فى محاكمته الشهيرة فى مدينة كراتشى - والمرء الذى لم يبدأ حياته به لا يتمتع بحياة حقيقية ولا يشعر بالمعنى الحقيقى لهذه الحياة ..!

إن واجبه الأول وولاءه الأوحد يجب أن يكون لله .. قد يتمتع ببعض التكريم ، وقد بنال شيئا من الولاء ، غير أن هذا التكريم وهذا الولاء بمقارنته بالولاء والإخلاص لله بذوى كالورقة التى يلفحها اللهب المشبوب فتذروها الرياح الأربع .. أو تلوث يد المسك بها بالسواد ..!!

إن الإيمان لا يموت بالقتل !! .. وإن قطرة واحدة من دم شهيد كافية لإشعال النار فى الجليد والثلج .. وفى تركيا اليوم نداء جديد يتردد صدها مع كل فجر .. إنه نداء الإيمان الذى انكمش داخل الصدور فترة من الوقت فمدارس القرآن تنتشر وتزداد ، ومجالس العلم تعود إلى سابق عهدها فى المساجد ، وقد تساءلت

جريدة «لوموند» الفرنسية عن هذه الظاهرة الجديدة في تركيا
فقال: ترى هل استيقظ الرجل الميت؟! ..

نعم قد استيقظ !! فالشعب الذي حمل لواء الجهاد ستة قرون
دفاعا عن الإسلام لا يمكن أن يموت والأمة التي من رجالها رجال
كمحمد الفاتح وسليمان القانوني وسعيد النورسي ... لا يمكن أن
تقهر .. لكن .. هل يقف الإسلام عقبة في طريق التقدم ؟ .. وهل
الدين هو سبب تأخر المسلمين بين الأمم ؟

يقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله مجيبا على هذا
السؤال : كتب إلى تلميذي المرشد الشيخ محمد بسيوني عمران ..
إمام مهراجا جزيرة سمبس .. بورينو (إندونيسيا) .. كتابا يقترح
فيه على أختنا المجاهد (أمير البيان) أن يكتب للمنار مقالا بقلمه
السيال يبين فيه أسباب ضعف المسلمين في هذا العصر وأسباب
قوة غيرهم من اليابان والإفرنج ..

وقال في كتابه :

إنه قرأ ما كتبناه في (المنار) وتفسيره من بيان الأسباب في
الأميرين وما كتبه الأستاذ الإمام محمد عبده في مقالات (الإسلام
والنصرانية مع العلم والمدنية) في الموضوع نفسه ، وأنه يريد

برسالته أن يكتب ذلك أمير البيان شكيب أرسلان بقلمه ..

يقول الشيخ محمد بسيوني عمران في رسالته :

ما أسباب ما صار إليه المسلمون من الضعف والانحطاط في
الأمر الدينية والدنيوية معاً ؟ رغم ما يقول الله في كتابه :
﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ .. فأين هي عزة المؤمنين
الآن ؟ .. وهل يصح لمؤمن أن يدعى أنه عزيز ؟ .. ويتساءل أيضا :
ما الأسباب التي ارتقى بها الأوروبيون واليابانيون ارتقاءً هائلاً ؟
وهل يمكن أن يكون المسلمون أمثالهم في هذا الارتقاء مع
المحافظة على دينهم وعقيدتهم ؟

هذه هي الأسئلة التي وضع بشأنها هذا الكتاب (١) .. وكان
ذلك منذ حوالي نصف قرن تقريباً ، وقبل أن تبدأ الحرب العالمية
الثانية بحوالي عشر سنوات .. وبعد أن تقاسم العالم الإسلامي
والعربي قوى الاستعمار الغربية وبدأت تمارس فيه أحقادها الدفينة
ومؤامراتها الدنيئة .. كان العالم العربي في هذه الآونة شراذم ممزقة
والمسلمون يتألمون في كل أمة .. فقد أجهضت دولة الخلافة ووجهت
إلى الإسلام طعنة قاتلة وخرجت من الجحور والشقوق عقارب

(١) يقصد كتاب « لماذا تأخر المسلمون » الذي كتبه أمير شكيب أرسلان ..

البغضاء والكرهية .. وارتفعت هنا وهناك شعارات تطالب
بالفصل بين الدين والدولة ووقف أتاتورك يعلن إلى العالم تبرأه
من الإسلام والعروبة ..

وفي هذا الجو الخانق يصدر هذا الكتاب ويحجى جوابا على
تساؤل أذهان الكثيرين من أبناء العالم الإسلامي الذين تكاثفت
من حولهم الظلمة .. وأحاط بهم بأس قاتل تموت فيه الهمة ..

لكن من هو أولا المرحوم الأمير شكيب أرسلان ..؟

لقد ولد الأمير شكيب في بيت «أرسلان» العريق في لبنان في
شهر رمضان المبارك سنة ١٢٨٦ هـ وتعلم مبادئ القراءة والكتابة
على يد معلم خاص حسيما كانت عليه عادة السراة في ذلك الحين،
ثم انتقل إلى التعلم على يد أستاذه آخر فحفظ جانبا من القرآن
الكريم وحين بلغ العاشرة من عمره دخل مدرسة الحكمة في بيروت
وتلقى فيها دروس العربية على يد الشيخ عبد الله البستاني ..

وفي مدرسة الحكمة تعلم اللغة الفرنسية والتركية وظهرت
تباشير شاعريته وهو في الرابعة عشرة من عمره ، وكان في سن
دراسته مبرزا على أقرانه وما هي إلا سنوات قليلة حتى رحل إلى
دمشق وبدأ يجالس المشاهير ويتعرف عليهم من أمثال : الشيخ

محمد عبده ، وسعد زغلول ، والشيخ على البستاني ، والشيخ
على يوسف صاحب جريدة «المؤيد» ، وحفنى ناصف ، وأحمد زكى
باشا ، وطفق رحمه الله وهو فى سن الشباب ينشئ علاقات
شخصية وأدبية مع أعلام عصره أمثال الشاعر إسماعيل باشا
صبرى ، وأمير الشعراء أحمد شوقى ، والبارودى ، وعبد الله باشا
فكرى ..

وتقلبت به السنون شاعرا ، وثائرا ، ومصلحا ، وبخاتة لغويا ،
وزعيما سياسيا ، ومترجما ومحققا ، وهو فى كل ذلك لسان حال
العروبة الصادق ، ورجل العقيدة الذى لا يخاف فى الله لومة لائم .
لقى الأمير شكيب أرسلان ربه فى الخامس عشر من محرم
١٣٦٦ هـ / ديسمبر ١٩٤٦م فأفل النجم الذى أضاء دنيا العرب
وأغمد ذلك السيف طالما دافع عن قضايا العروبة والإسلام .
وقد لاقى هذا الكتاب الذى دبحه براع الأمير شكيب أرسلان
بقلمه - رواجاً فى كل أنحاء العالم الإسلامى - وكان أشبه بعود
الثقاب فى الظلام الدامس المدلهم وقد قوبل هذا الكتاب بمعارضة
ومطاردة من الدوائر الاستعمارية .. وقابلته فرنسا بحماسة شديدة
فمنعت دخوله بلاد شمال إفريقيا وحرمت قراءته على الناس كأنه
وباء ..

وفرضت العقوبات الصارمة على كل من يوجد عنده هذا الكتاب .. يقول الأمير شكيب :

لقد ظن كثير من المسلمين أنهم مسلمون بمجرد الصلاة والصيام وكل ما لا يكلفهم بذل دم أو مال .. وانتظروا بذلك النصر من الله .. وليس الأمر كذلك فإن فرائض الإسلام لا تنحصر في الصلاة والصيام ولا في الدعاء والاستغفار .. كيف يقبل الدعاء ممن قعدوا وتخلقوا ، ويخلوا وما بذلوا .. فكيف يطمع المسلمون أن تكون لهم منزلة الأوروبيين في البسطة والقوة وهم مقصرون عنهم بمراحل في الإيثار والتضحية ؟

ويقول الأمير شكيب .. يقولون :

لماذا سادت الأمة الإنجليزية هذه السيادة على العالم ؟
ونقول لهم جوابا عن ذلك : إنها سادت بالأخلاق والمبادئ الوطنية العالية .. إنى أعرف رجلا إنجليزيا كان يأمر خادمه أن يشتري له الحوائج اللازمة لبيته يوميا من دكان رجل إنجليزى فى البلدة التى يقيم فيها .. فجاءه الخادم يوما بجدول حساب وفر عليه به عشرين جنيتها فى الشهر فسأله الإنجليزى : كيف أمكنتك هذا التوفير ؟

فقال له الخادم : تركنا دكان الإنجليزى الذى كنا نشترى منه
إلى دكان آخر يبيع بسعر أرخص .. فقال له الإنجليزى :
ارجع إلى الدكان الأول الذى كنا نشترى منه .. فقال الخادم :
ولو كان ذلك يكلفنا عشرين جنيها زيادة ..؟
قال الإنجليزى : ولو كلفنا عشرين جنيها أخرى ..

إن العطاء والتضحية والبذل هى التى تصنع تاريخ الرجال
والأمم لقد قام أهل الريف المغربى فى وجه الدولة الإسبانية فطردوا
جيوشا بعد أن أبادوا فى معركة واحدة ٢٦٠٠٠ (ستة وعشرون
ألفا) من الإسبان وغنموا منهم ١٧٠٠ مدفعا مع أن أهل الريف
جميعهم لم يكونوا يزيدون فى هذا الوقت عن ثمانمائة ألف رجل
وامرأة وطفل وكان عدد سكان إسبانيا فى ذلك الحين يقارب اثنين
وعشرين مليونا ..

إن المبالغ الزهيدة التى جمعها المسلمون لنصرة المجاهدين فى
برقة وطرابلس هى التى أوقعت بايطالبا أفدح الخسائر وكبدت
ميزانيتها مئات الملايين من الجنيهات .. ففى وقعة واحدة هى وقعة
«الفويهات» على باب «بنغازى» ثبت مائة وخمسون مجاهدا
عريبا لثلاثة آلاف جندى إيطالى من الفجر إلى غروب الشمس

حتى انقضوا جميعا وبينما كان المسلمون فى حزن لوفاة هؤلاء
المجاهدين جاءت الأخبار بأن إيطاليا فقدت فى هذه المعركة وحدها
١٥٠٠ جندى .. وأصيب سبعة من ضباطها بالجنون .. وصدق الله
العظيم :

﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين .. وإن يكن
منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا ﴾ ..

لقد كانت نتيجة هذه الموقعة انفجارا زلزلا أرجاء إيطاليا ..
مائة وخمسون يقتلون ألفا وخمسمائة .. ويتسببون فى جنون سبعة
من الضباط .. مائة وخمسون بالبنادق والأسلحة العتيقة يتصدون
لجيش أوروبى فيدمرونه ويدحرونه ..

لقد جن جنون إيطاليا ، فما سر هذه التضحية فى جنود
العرب؟ .. إنه الإسلام .. فلنحرك فى شبابنا أحقاد الماضى
الدفينة وتاريخ الحروب الصليبية .. فكان هذا النشيد الذى يقطر
حقدا وعداوة وهمجية ..

صلى يا أماه ولا تبكى .. بل اضحكى وتأملى ..
ألا تعلمين أن إيطاليا تدعونى وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحا
مسرورا لأبذل دمي فى سبيل سحق الأمة الملعونة .. ولأحارب

الديانة الإسلامية ..

سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن ..

ليس بأهل لمجد من لم يمت إيطاليا حقا ..

يا أماء .. أنا مسافر .. ألا تعلمين أن الأمواج الزرقاء
الصافية من بحرنا ستلقى سفائننا على المراسى ..؟ أنا ذاهب إلى
طرابلس مسرورا لأن رايتنا المثلثة الألوان تدعوني وذلك القطر تحت
ظلها ..

لا تموتى لأننا فى طريق الحياة .. وإن لم أرجع فلا تبكى على
ولدىك ..

ولكن اذهبي كل مساء وزورى المقبرة ونسائم الأصيل تحمل إلى
طرابلس وداعك الذى يأبى الحداد على قبر فلذة كبديك ..
وإذا سألك أحد عن عدم حدادك على .. فأجيبه ..
إنه مات فى محاربة الإسلام ..

يقول المرحوم أرسلان :

ومن أغرب الأمور أن ترى الأوروبيين ودعاتهم وتلاميذهم من
الشرقيين يتهمون المسلمين بالتعصب .. ويزعمون لأنفسهم
التساهل فى أمور العقيدة والدين .. ؟

بل إن بعض المسلمين «جغرافيا» ينساقون ببلاهة وراء هذه الأكاذوبة الضخمة فيتساهلون في أمور دينهم حتى يكونوا «متمدين» وعصريين ..

فالمسلم في نظر هؤلاء لا يكون «غير متعصب» إلا إذا سمع بتنصير المسلمين ثم يمر بذلك كأن لم يسمع شيئا .. وإلا إذا سمع أن الهولنديين والفرنسيين نصرّوا عشرات الألوف من المسلمين فهز كتفيه كأن لم ير شيئا ..

هنالك يصير «راقيا» وبعد «عصريا» ويصبح عند أعداء الله محبوبا ..

أما الأوروبي فله أن يبذل القناطر المقتنطرة على بث الدعاية التبشيرية بين المسلمين وله أن يحميها بالمدافع والطائرات والدبابات ..

وله أن يحول بين المسلمين ودينهم بالقوة والمدرعات .. وله أن يدس كل دسياسة ممكنة لهدم الإسلام في بلد الإسلام وليس عليه من حرج في ذلك ولا يسلبه هذا العدوان والبغض صفة «راق» و «متمدين» و «عصري» ..

وهؤلاء المسلمون الجغرافيون برغم هذه الشواهد والأدلة ورغم

ما فعلته فرنسا « اللادينية » فى محاولة تنصير البربر وفصلهم عن الإسلام .. ورغم حماية « هولندا » لمبشرى الإنجيل وإصرار بلجيكا على تنصير أهل الكونغو .. ومنع الإنجليز للدعاة المسلمين فى كينيا وأوغندا وتنجانيقا وجنوب السودان .. ورغم أمور كثيرة لا نستطيع شرحها فإن الأغبياء لا يزالون يقولون :

إن أوروبا قد رفست الدين .. وصارت دولها علمانية لا دينية .. ولهذا تقدمت وترقت ولا سبيل لرقبنا حتى نترك الدين .. ؟
ونقول لهؤلاء الأغبياء والعمى فى أمتنا ..

إن التبشير والاستعمار يسيران جنبا إلى جنب .. بل إن التبشير كان دائما هو طليعة الاستعمار فى كل أرض ، فقد أرادت أن توهم المسلمين بتخليها عن « الدين » حتى يحذو حذوها وينفصلوا عن مصدر القوة والعزة والحرية .. أوهمت المسلمين ظاهرا بهذه الأكذوبة ثم أطلقت « عصابات التبشير » فى مستعمراتها تحت حماية قواتها المسلحة لتدمر وتخرب فى عقائد المسلمين .. لأن الإسلام هو العزة والحرية .. وما بقى المسلمون مسلمين فلا بقاء لمستعمر فى أرض تدين بالإسلام والرسالة المحمدية .. وهنا نقف وقفة قصيرة ..

لقد حدثنى فى العام الماضى (١) رجل كان يشغل منصبا قانونيا كبيرا فى هيئة دولية .. قال ذلك الرجل المسلم :
عندما أمت قناة السويس وجد فى ميزانيتها قرار باعتماد خمسة ملايين جنيه ترصد لأعمال التبشير سنويا فى المنطقة .. والأغرب من هذا كله أن «فرديناند دبلسبس» المهندس الفرنسى الذى أشرف على شق القناة أرسل إلى بابا روما بعد حفل الافتتاح برقية يخبره فيها بأن الطريق إلى غزو العالم الإسلامى والسيطرة عليه أصبح ممهدا .. وسهلا ..!!

بل إن أحد الرهبان واسمه «سان لوى» هو الذى فكر منذ زمن بعيد بشق هذه القناة ليصبح الطريق مفتوحا أمام جحافل الغزو الصليبي فى قلب العالم الإسلامى ..

ولم أعجب حين سمعت من الرجل القانونى هذه القصة .. فقد رأيت بعينى تلك المدارس التبشيرية التى أنشأتها شركة قناة السويس فى مدن القناة كلها ..

وكل هذه المدارس تديرها راهبات بإشراف الكنيسة والكرادلة وهى مدارس «سان فنسان دى بول» و «سان لوى» و

(١) ١٩٧٢ ..

«الفرنسيسكان» وبانباستير والصليبي الحاقه فرديناند ديلسبس.

نعود مرة أخرى إلى كتاب المرحوم شكيب أرسلان :

يقول رحمه الله : إن من أكبر عوامل انحطاط المسلمين الجمود على القديم فكما أن آفة الإسلام هي الفئنة التي تريد أن تلغى كل شئ قديم بدون نظر فيما هو ضار أو نافع .. كذلك آفة الإسلام هي الفئنة الجامدة التي لا تريد أن تتغير شيئا ولا ترضى بإدخال أقل تعديل على أصول التعليم الإسلامي ظنا منها بأن الاقتداء بالكفار كفر ، وأن نظام التعليم الحديث مع وضع الكفار ..

لقد أضع الإسلام جاحد وجامد ..

أما الجاحد فهو الذي يأبى إلا أن يفرنج المسلمين وسائر الشرقيين ويخرجهم عن جميع مقوماتهم ، ويحملهم على إنكار ماضيهم ويجعلهم أشبه بالعنصر الكيماوي الذي يدخل في تركيب جسم آخر فيذوب فيه ويفقد هويته .. وذلك لا يصدر إلا من الفسل الحسيس التعس الذي يشعر أنه في وسط قومه دني الأصل فيسعى هو في إنكار أصل أمته لأنه يعلم نفسه منها إمكانية خسيصة ليس له نصيب من الأصالة فيريد أن يجعل الكل شريكا له في هذه الخسة ..

إنهم كالقروء يقلدون بغير وعى ولا إدراك .. فقد قال المستر «شميرلين» ناظر خارجية إنكلترا سابقا .. ورئيس وزرائها فى مطلع الحرب العالمية الثانية .. نحن الإنكليز أمة تقليدية محافظة على القديم لا نرضى بتبديل شئ من أوضاعنا إلا إذا ثبت ضرره ولم يبق مناص من تغييره ..

ومما يزيد هذا المثال تأثيرا فى النفس أن الأيرلنديين أمة صغيرة مجاورة للإنجليز وقد حاولت بريطانيا كل ما يتصوره العقل لدمج هذا الشعب فى الأمة الإنجليزية مدة تزيد عن سبعمئة عام فأبوا أن يصيروا إنجليزا وبقوا إيرلنديين بلسانهم وعقيدتهم ..

وفى فرنسا تأبى جماعة «البريتون» إلا أن يحافظوا على أصلهم وفى جنوب فرنسا توجد جماعة يقال لهم «الباشكنس» ظلوا محتفظين بقوميتهم تجاه القوط .. والعرب .. والفرنسيين .. والإسبان ، وفى سويسرا ثلاثة أقسام لكل قسم لغة .. الأمثلة كثيرة ولا تنتهى فى أوروبا وأقطارها وقد حصرت أمثلى فى أوروبا لأنها القدوة لهؤلاء الجاحدين فى العالم الإسلامى والعربى .. واليابان .. ؟ .. نعم اليابان !

إنها دولة شرقية مائة فى المائة فكيف نهضت وتقدمت وسبقت

الكثير من دول أوروبا والغرب ؟ .. هل تخلصت من قوميتها وعقيدتها ؟ .. هل انسلخت عن ماضيها وتراثها ؟ .. هذه الأمة الشرقية التي يضرب بها المثل فى الرقى والتقدم لاتزال ملتزمة بعادات وتقاليد مضى عليها أكثر من ألفى سنة .. وامبراطورها هو ابن السماء والكاهن الأعظم ..

ملك إنجلترا وامبراطور الهند .. فيما مضى .. هو رئيس الكنيسة الانجليكانية (حسب الدستور) ومجالسه النيابية تناقش فى قضايا لاهوتية خطيرة مثل قضية الخبز والخمر وهل يستحيلان بمجرد كلام القسيس إلى جسد المسيح ودمه كما تنص تعاليم الكنيسة فكيف لا يقال عن هذا الملك إنه رجعى وأن دولته العظمى متأخرة متقهقرة ..؟

إنها أمثلة لا تحصى أيضا فى الأمم الأوروبية .. الأمم التى تدعى العلمانية .. وفصل الدين عن الدولة .. وهنا نقف وقفة ثانية ..

فإسرائيل دولة انبثقت من تعاليم التلمود والتوراة .. العبرانية تعود من جديد إلى الحياة .. المخترعات تحمل أسماء كانت قد اندثرت تحت أنقاض الزمن .. كل شئ فى إسرائيل يتعطل يوم

السبب لأنه يوم مقدس .. الأحزاب الدينية تكيف الحياة في إسرائيل حسب التعاليم التي انقضت .. في كل فرقة من الجيش حاخام يفرض وجوده على قواد الفرق .. ومع ذلك فإن إسرائيل كما يردد القروء في العالم العربي دولة عصرية .. دولة عصرية رغم كونها عنصرية .. دولة تقدمية وكل شئ فيها ملون بأحبار الكهنة والحاخامات ..

ويقول المرحوم شكيب أرسلان :

بقي بعد ذلك أن نتحدث عن الجامدين في العالم الإسلامي هؤلاء الذين مهدوا لأعداء المدنية الإسلامية الطريق لمحاربة هذه المدنية محتجين بأن التأخر الذي عليه العالم الإسلامي إنما هو ثمرة تعاليمه وقيمه ..

إن المسلم الجامد هو سبب الفقر في العالم الإسلامي لأنه جعل من الإسلام ديناً آخر فقط بينما الإسلام دين ودين .. والجامد هو الذي شن الحرب على العلوم الطبيعية والرياضية بحجة أنها من علوم الكفار فحرم الإسلام ثمرات هذه العلوم وأورث أبناءه الفقر ، والمسلم الجامد لا يدري أنه بهذا المشرب يسعى لبوار أمته وحطها عن الأمم الأخرى ولا يتنبه لشئ من المصائب التي جلبها على

قومه إهسالهم للعلوم الكونية حتى انتهوا إلى هذا الجهل الذى هم فيه وصاروا عيالا على أعدائهم الذين لا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة. والحقيقة أن هؤلاء الجامدين هم الذين لا تأتلف عقائدهم مع المدنية وهم الذين يحولون دون الرقى العصرى .. والإسلام قبل غيره برئى من جمودهم وسذاجتهم ..

إن الإسلام ثورة على القديم الفاسد ، وقطع كل العلائق مع غير الحقائق فكيف يكون الإسلام ملء الجمود وهو وحده دين التقدم والتطور ..؟

فالمسلم الجامد يحارب كل علم غير العلم الدينى الذى ألفه .. وينسى أن العلوم الطبيعية والرياضية والفلك والطب والهندسة والكيمياء وكل علم يفيد الاجتماع البشرى هى علوم دينية .. وكم جرى تدريس هذه العلوم فى الأزهر الشريف والزيتونة والقرويين وقرطبة .. وبغداد وسمرقند وغيرها عندما كان للإسلام دول ورجال أعظم .. وكم نبغ فى الإسلام من عظماء جمعوا بين الحكمة والشريعة ونظموا بين الحديث والرياضة وأن أكبر فيلسوف عربى اشتهر اسمه فى أوروبا هو القاضى «ابن رشد» وقد كان من أكابر الفقهاء والفلاسفة ..؟

لقد بلغت بغداد فى عهد المنصور والرشيد والمأمون ما لم تبلغه
مدينة قبلها ولا بعدها إلى هذا العصر حيث كان أهلها يبلغون
مليونين ونصف مليون من السكان ..

كذلك كانت دمشق والقاهرة وحلب وسمرقند وأصفهان وحواضر
أخرى كثيرة من بلاد الإسلام ، كانت القيروان وفارس ومراكش فى
العرب أعظم وأعلى من أن يطاولها مطاول أو يناظرها مناظر أو
أن يكائرها مكائر فى ممالك أوروبا حتى القرون الأخيرة ..

وكانت قرطبة مدينة فذة فى أوروبا لا يدانيها مدان .. وكان
عدد سكانها مليون ونصف المليون نسمة ، وكان فيها نحو
سبعمائة جامع عدا المسجد الأعظم وقد حدثنى المهندس الإيبانى
الذى كان يرافقتنى حين زيارتى لهذا المسجد أنه يتسع لحوالى
(٥٠ . ٠٠٠) خمسين ألف مصلى فى الداخل و (٣٠ . ٠٠٠) ثلاثين
ألف مصلى فى صحنه الخارجى ..

وحسبك أن غرناطة التى كانت حاضرة مملكة صغيرة فى آخر
أمر المسلمين فى الأندلس لم يكن فى أوروبا فى القرن الخامس
عشر المسيحى بلدة تضاهيها ولا تدانيها .. وكان فيها عندما
سقطت فى أيدي الإيبان نصف مليون نسمة ولم يكن فى ذلك

الوقت في أبة عاصمة أوروبية نصف هذا العدد ..
هكذا كان المسلمون سادة الدنيا ومفخرتها .. كانوا كذلك حين
كان الإسلام فعالا مؤثرا في الحياة والحكم .. حين كان الإسلام هو
المهيمن على القلوب والفكر حين كان الإسلام هو المصدر الأول
والأخير للتشريع والنظام ..

إن القائلين بأن الإسلام هو سبب تأخر المسلمين هم أول الناس
علما بضخامة أكذوبتهم وإذا صدر هذا الكذب والافتراء من أمم
تدين بالنصرانية فإنما يعمدون بهذا الكذب إلى ستر خيبتهم
وأحقادهم ..

لقد كانت اليونان - قبل النصرانية - أمة من أرقى أمم الأرض
وكان الإسكندر الأكبر ابنا لهذه الأمة التي تصدرت بشقاقتها
شعوب العالم في فترة من الزمن ، ولم تزل اليونان في هذه المكانة
حتى دخلت في النصرانية فبدأت تتدلى وتنحدر حتى أصبحت
ولاية تركية ..!!

وكانت روما دولة عظمى لا تذكر بجوارها دولة .. ولم تزل
كذلك حتى دخلت في النصرانية على عهد قسطنطين ومنذ ذلك
الوقت بدأت تنحدر وتنحط حتى تلاشى سلطانها شرقا وغربا ..

وأصبحت أقطارها ولايات إسلامية...!!
وفى نظر الكثير من المؤرخين الأوروبيين أن الكنيسة هي العقبة
الكبيرة في طريق كل نهضة ، وأنها سبب الانحطاط والتأخر ،
وأنها الوحيدة التي عرقلت عجلة الحضارة في أوروبا وأن عصر
النهضة لم يبدأ إلا بالتخلص من الكنيسة ومفاهيمها البالية
العتيقة .. وقد قال « فولتير » لرئيس وزراء النمسا البرنس
« سيندروف » حين زاره وسأله عن حركة الإصلاح المسيحية التي
قام بها « لوثر » و « كلفن » قال « فولتير » :
كلاهما لا يصلح حذاء لمحمد...!!!

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٠١ / ٢٠٠٠

دار النصر للطباعة والإستلامية

٩ - شارع نشاتلى شبرا القمامة

الرقم البريدى - ١١٢٣١

